مجلة الإسلام والتصوف

العدد الثالث السنة الثالثة

صاحب المجلة
محمد محمود علوان
شيخ مشايخ الطرق الصوفية

رئيس التحرير
محمد صبيح

سكرتير التحرير
طه عبد الباقي سرور

مجلة
الإسلام والتصوف

مجلة أسبوعية تصدر شهرية موقتا
تصدر عن مشيخة الطرق الصوفية

"ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير
ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
وأولئك هم المفلحون"

الاشتراك السنوي
٦٠ ص
في الجمهورية العربية المتحدة
٥ ص
ثمن العدد

العنوان
مشيخة الطرق الصوفية
بميدان سيدنا الحسين
القاهرة
تليفون ٥١٣٩٣

العدد الثالث « السنة الثالثة » ٧ صفر عام ١٣٨٠ ١ أغسطس عام ١٩٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مكانة التصوف من الإسلام
ورسالته في الحياة

لسماحة الأستاذ السيد محمد محمود علوان

في ندوة من الندوات العامة ، التي تعالج مشاكل المجتمع العربي ، ووسائل النهوض به ، اقترح أحد الأعضاء ، أن يستعان بالطرق الصوفية باعتبارها قوة روحية توجيهية ، تملك مثاليات خلقية ، ومناهج تربوية ، وآدابا اجتماعية وإيمانية ، وهي بهذا كله ، قادرة على أن تساهم في حماية شبابنا من التيارات والانحرافات ، وامداد مجتمعاتنا بالمناعة الخلقية والقوة

النفسية ، والقدوة الحسنة التى تنمى فى النفس فضائل الحب والإخاء والتعاون ، وتغرس فى القلب قداسة الإيمان بالحق والشرف والواجب .

واندفع إلى المعارضة عضو آخر بالندوة ، فأخذ يتهم الصوفية بالسلبية والتواكل ، ويصور التصوف بأنه شىء قديم غامض لا يصلح للحياة القوية المتطورة ، ولا يملك أن يقدم شيئا نافعا لمجتمعاتنا ونهضتنا .

وليس هذا السيد المجادل المعترض بغريب شاذ فى حياتنا ، بل أنه نموذج لعدد كبير من الناس ، يسىء الظن بالتصوف والصوفية ، ويتجنى دائما على التصوف والصوفية .

هذا الصنف من الناس لم يحط بالتصوف علما ، بل لم يدرس منه حرفا ، ولم يتذوق له ادبا ، ولم يطرق له بابا ، ولم يشهد من نوره شعاعا ، ولم يعش يوما واحدا مع تاريخه وأمجاده ومثالياته ، وما صنع الأمة الإسلامية من تاريخ مضىء ، وما قدم للإنسانية من خير وهدى ، وزاد للتقوى ، ومنهج للبر والتعاطف والإخوة ، وصراط مستقيم للاطمئنان والسلام والتعاون الإيجابى على الارتفاع بالحياة ، إلى أفق الإنسان الكامل ، الذى يحبه الله والذى نادت به الرسالات السماوية كافة

هذا الصنف من الناس ، هذا المجادل بغير حق ، لم يعلم يوما أن التصوف هو أدب النفس ، وطهارة القلب ، وعفة اليد ، وعصمة الجوارح ومثالية الخلق .

ولم ير يوما أن التصوف هو مقام الاحسان من ادب الرسول ، ومقام الكمال من هدى القرآن .

وليس التصوف هو الخلق والإيمان والفضائل الروحيـــة والذوقية ، والكمالات التعبدية فحسب ، بل إنه يجعل من كل هذا معراجا للقوة فى الحياة ، القوة لنفسه ، والقوة لأمته والقوة للإنسانية كافة .

فالصوفى الذى يرتفع بأخلاقه وآدابه وإيمانه إلى هذا المستوى ، المستوى الذى يتخذ من قرآنه ومن رسوله ، محجة وإماما ، يرى أن قمة ذلك كله أن يكون قوة نافعة ، قوة إيجابية صانعة لتطور البشرية وتقدمها وعزتها .

إنه يتخذ من هذا كله وسيلة لأن

يتسابق إلى الخير ، وإلى الحق ، وإلى الواجب .

إنه ليتقن كل عمل يقوم به ، أسوة برسوله صلوات الله عليه الذى علمه بقوله : « إن الله يحب من أحدكم إذا عمل عملا أن يتقنه » وأنه ليشيع الخلق الكريم فى كل طريق يسير فيه ، لأن رسوله العظيم قد حدد له رسالته بقوله : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » وإنه ليتخذ القوة فى الحياة منهجا ، القوة العادلة المنصفة ، لا المتجبرة الباغية ، لأن الرسول صلوات الله عليه علمه : « أن المؤمن القوى أحب إلى الله من المؤمن الضعيف » وأن اليد العالية المعطية ، خير من اليد السفلى المستجدية ، وإنه ليأخذ باسباب التفوق والسيادة لأن قرآنه قد علمه : أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

هذا الصنف من الناس المجادل بغير علم ، قد صوره لنا حجة الإسلام الغزالى بجملة قوية معبرة فى قوله : « من جهل شيئا عاداه » وهذا هو السر الكامن خلف كل هجوم على التصوف وخلف كل تجنى على رجاله وتاريخه .

وواجبنا نحن الصوفية أن نعمل ليلنا ونهارنا على إشاعة الثقافة الصوفية وتقريبها من الناس ، وتقديمها إليهم بلغتهم وبأذواقهم ، حتى يلمسوا ما فيها من جلال وكمال ، وحتى تنتفى من أذهانهم تلك الصور المهتزة المشوشة التى لا تستند إلى واقع ، ولا تمت إلى حقيقة من حقائق التاريخ .

إن التصوف ليس مذهبا من مذاهب الفكر الفلسفى ، وليس منهجا من مناهج النسك الإعتزالى .

والصوفية لم يكونوا يوما من الأيام فرقة من الفرق ، التى يموج بها التاريخ الإسلامى ، ولم يكونوا عبر تاريخهم العريق طائفة من الطوائف التى تجنح إلى اليمين أو اليسار .

بل كان الصوفية دائما ابدا هم قلب العالم الإسلامى ، ولسانه وحصنه وأسواره وطليعة زحفه .

هم الذين صانوا الخلق الإسلامى فى أعلى مثالياته ، وقدموا الزاد الروحى فى أنقى موارده ، وصاغوا بأس الأمة الإسلامية الذى استعصى على الفناء ، وعزتها التى غالبت الأحداث .

هم الذين ربطوا القلب الإسلامى

بالله وبالقرآن وبالرسول وبالنماذج العالية من المؤمنين الأكفياء الأولياء وبهذا الرباط المقدس ثبتت العقيدة ثباتا اعجز كافة الأحداث التاريخية من حربية وفكرية .

حتى رجال الإستشراق لمسواهذه الحقيقة ، فالمستشرق الإنجليزى — نيكلسون — يقول. «أين جميع المفكرين من متدينى الإسلام صوفية » المستشرق الفرنسى — ماسنيون — يقول . « إن جميع المذاهب والفرق الإسلامية كانت تضم رجالا من الصوفية . لقد وجد الصوفية بين الفقهاء والمتكلمين والفلاسفة وأهل السنة ورجال الاعتزال » .

ومرد هذا أن التصوف لا يمثل وجها من أوجه الفكر الإسلامى ، ولا يصور منهجا من مناهج التعبد الإيمانى ، بل التصوف هو الإسلام فى مقاماته العليا .

ولقد وصف القرآن الكريم درجات المؤمنين ومقاماتهم ، فالإسلام مقام ، والإيمان مقام ، والجهاد مقام ، والإحسان مقام ، وهكذا مقامات الصابرين والصادقين والقانتين والعابدين والزاهدين والمتوكلين والمسبحين بالغدو والآصال ، ورجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، ورجال قاموا مع نديهم الكريم الليل إلا قليلا .

وهكذا درجات ومقامات ، ولقد أخذ التصوف بالعزائم ، واستهدف الكمال ونشد أن يسموا وأن يجاهد ، وأن يعمل حتى يصل إلى ذروة المقامات الإسلامية .

فإذا قلنا التصوف فلسنا نقصد قبيلا من الناس ، أو طائفة من العباد وإنما نقصد الإسلام القوى فى أعلى ذراه ، وأنقى ينابيعه ، وأسمى أحواله ومقاماته .

كل صفة فى التصوف ، وكل خلق فى التصوف ، وكل عمل فى التصوف ، هو تصعيد للكمال إلى أقصى ماتستطيع العزمات القوية .

فالحرية فى التصوف مثلا ، هى حرية أوسع من كل مدلول آخر لها أنها فوق حرية التعبير ، وحرية تقرير المصير ، تحرر من الشهوات والنزوات وتحرر من عبودية المادة ، وتحرر من الخوف والطمع ، وتحرر من الرغبة والرهبة . تحرر كامل تتم به العبودية كاملة لله .

فالصـــوفى لا يستعبد إلا لربه ، ولايستعبده شيء فى الكون بعد ذلك .

وهـكذا كافة الصفات العليا التى يتغنى بها العالم المتحضر ، نجدها فى التصوف ترتدى كمالا أعلى ، وتسبح فى أفق اوسع ، وتستهدف غاية أسمى وأهـدى .

إن الصوفية كما أنهم رجال آداب وأخلاق وروح وعبادة ، رجال كفاح وعمل وتفوق وسيادة .

وحسبنا فى تصوير هذا المعنى قول الإمام الجنيد : « حساسة الهمة من قلة المعرفة بالله » .

بل حسبنا فى تصوير هذا المعنى وتقريبه قول الشيخ الأكبر محيى الدين ابن عربى : « علو الهمة هو اسم الله الأعظم » .

فلتسمع الدنيا ، وليسمع من يجهل التصوف ، هذا التعبير العظيم .

علو الهمة ، هو اسم الله الأعظم ، علو الهمة هو السر الأكبر . السر الذى يصنع الرجال ، ويصنع التاريخ ، ويملى على الحيـاة ارادته فتستجيب له .

إن كل ما يتصف بعلو الهمة ، إن كل من يسمو بعزماته وبارادته وهمته إلى الكمال ، إلى الارتفاع ، إلى التسامى إلى القوة والعزة ، هو مستعين فى عمله وفى جهاده وفى كفاحه باسم الله الأعظم الذى يستجيب له كل شيء ويخضع .

إنه حديث أثاره نقاش عابر ، حديث نستهدف به أن نقدم الصورة الصحيحة للتصوف إلى الناس ، ومقامه من الإسلام ورسالته فى الحياة . حتى يتبين للناس كافة ، أنه الحق ، وأنه هدى القرآن ، وأدب الرسول ، وعصمة المؤمنين ، ومثاليات الصالحين الأقوياء اصحاب العزمات التى تصنع التاريخ .

وللحديث بقية إن شاء الله ، وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب .

رسالتان حول التصوف

من أوربا وآسيا

بقلم الأستاذ

طه عبد الباقى سرور

رسالتان كريمتان تلقيتهما هذا الأسبوع ، يدوران حول رسالة التصوف الإسلامى الروحية ، والحضارة الأوربية المادية ، والومضات الفكرية العالمية ، التى تتلمس الطريق المضئ ، الطريق الذى يصل بالإنسان إلى فجر حياته الكاملة ، الحياة التى تسود فيها القيم والمثل ، ويطمئن فيها القلب ، وتسعد الروح ، حياة السلام والإيمان ، حياة الإنسان الكامل الربانى الذى بشرت به الأديان ، وصورته أحلام الفلاسفة والعلماء ، وتخيلته أقلام الشعراء والأدباء .

وفى الرسالتين حرارة تدفئ القلب ، وإيمان يسعد النفس ، وأفكار حية قوية ، جديرة بالتأمل والدراسة .

أما الرسالة الأولى ، فمن قلب أوربا ، من جنيف بسويسرا ، من الدكتور العالم الفاضل زكى على ، أدار فيها الكلام عن الإسلام والمسلمين ، والشرق والغرب ، الغرب الذى أقام فيه منذ تسع وعشرين سنة ، فلمس روحه ، وأحاط بعلمه ، وتذوق حضارته ، ثم وجد كل هذا . . قبض الريح ! ! !

لقد فقدت الحضارة الأوربية روحها ، لقد باعتها للشيطان ، لقد قام مقام القلب البشرى ، فى صدر كل أوربى ، الدولار والمدفع ، والآلة المدمرة ، والشهوة الجامحة .

لقد انطلقت الغرائز مسعورة ظامئة ، تعب وتنهل غير عابئة بشرف ، أو متمسكة بقيم .

و انطلقت الأفكار جامحة مجنونة ، تهدم كل نبيل شريف ، وتسخر من كل كريم مقدس .

لم تعد ترتبط بالله ، ولا تثق بالمثل ، ولا تؤمن بفضائل الروح ، وعواطف القـــلوب .

إنها تتعبد فى محراب نفسها ، وتتهجد فى ساحات الصراع الدامى ، وتقتات بالحقد الأسود ، وتحترق بلهب الشك والقلق .

إنها فى دوامة ، أبرز ما فيها اليأس المطلق ، إنها اشبه بالمنبت ، الذى لا أرضا قطع ، ولا ظهرا أبقى .

لم يعد لأوربا غد ، إنها تعيش ليومها ، لقد فقدت العمق النفسى ، والاطمئنان القلبى ، واليقين الإيمانى ، كما فقدت الحبل المتين الذى يربط الإنسان بالله ، فيربطه بالبقاء والخلود .

لقد انتهت رسالتها ، رغم الطاقة الذرية ، ورغم العظمة الآلية ، لأنها انحرفت وضلت وتفرقت بها السبل ، ودخلت فى تيه لا يعرف نور الله ، وما يفيض هذا النور من قوة ، ومن ثقة ، ومن سعادة ، ومن أمل مضىء مشرق ، هو سر الحياة ، وسر هذا الكون الكبير .

إن تسعة وعشرين عاما فى أوربا ، لم تقنع الدكتور زكى على بحضارتها وقوتها ، بل زادته إيمانا بربه وبدينه ، وزادته استمساكا واعتصاما بالتصوف الإسلامى وروحانيته ومثله وآدابه وأنواره وإلهاماته .

إن التصوف الإسلامى ، هو رسالة الغد للإنسانية كافة ، لأنه وحده الذى يملك الطاقات الروحية والإيمانية التى تعيد للقلوب أمنها ، والأرواح سلامها ، وللبشرية إنسانيتها ، إنه وحده الذى يمنح الحيارى الذين حطمهم القلق واليأس ، يمنحهم اليقين والأمل ، ويضع فى قلوبهم ، وفى أعينهم ، وفى أبعد عمق فى وجدانهم ، نور الله .

ولهذا كله ، يقبل الدكتور زكى على ، على التصوف الإسلامى ينهل من ينابيعه ، ويقتات بأنواره ، ويسعد بآدابه ، ويحس بإنسانيته المؤمنة المهتدية المطمئنة ، فى عالم من اليأس والقلق والفراغ .

أما ثناء الدكتور وأعجابه وتقديره لما أكتب وأنشر من دراسات وكتب ، فهو أدبه وفضله الذى جعله يحسن الظن ويجزل الثناء ، وشكرى له ليس موضعه هنا .

والرسالة الثانية ، من قلب آسيا ، من دلهى بالهند ، من العلامة الأستاذ أبو الحسن الدلهوى ، أدار فيها الحديث حول ما أكتب من دراسات صوفية ، لها وزنها وأثرها كما يقول ، وهو يسألنى : هل اعتقد أن التصوف هو الوجه الأكمل للإسلام ، الوجه الذى نواجه به الدنيا ؟ وندعو الإنسانية إليه ؟ ونقدمه للناس كافة ، لنعبر به عن رسالة القرآن ، وهدى الرسول ؟

ويقول سيادته ، إن التصوف هو معرفة ذوقية ، ومثاليات عليا ، تصلح للخاصة من الناس ، ولا تصلح كمنهج عام ، أو كدعوة إسلامية عالمية . ؟

أما أن التصوف هو الوجه الأكمل للإسلام ، فهذا حق لا مرية فيه .

فالتصوف فى جوهره ، هو الكمال فى العبادة ، وفى الأخلاق ، وفى المعاملة والسلوك العام ، كما أنه الكمال فى الفداء والتضحية ، مع تصعيد كل أمر من أمور الحياة إلى الله سبحانه .

تصعيد شرفه الأول ، الاجادة والاتقان ، وطهارة القصد ، واستهداف الخير للناس كافة .

فالصوفى هو من حقق فى نفسه ، وفى عمله ، وفى قوله ، وفى سلوكه ، وفى إنسانيته ، كل المعانى القرآنية ، كل المثاليات الإيمانية ، هو من استهدف القدوة الحسنة ، وتتبع آثارها ظاهرة وباطنة ، فقام جهد طاقته ، بأخلاق نبيه ومعاملاته وصفاته ، ومنهجه فى حياته .

أما أن التصوف ، معرفة ذوقية ، ومثاليات عليا ، تصلح للخاصة من الناس ، ولا تصلح كمنهج عام ، أو كدعوة إسلامية عالمية . ؟

أجل فى التصوف معرفة ذوقية الهامية ، ولكنها معرفة تستهدف آدابا فى السلوك ، وآدابا فى الرياضة الروحية ، وتذوقا خاصا فى الذكر والمناجاة والطاعة .

ولكنها معرفة مقيدة ذوقا والهاما بالكتاب والسنة وليس من أهدافها الاجتهاد فى الكليات الإسلامية ، إنما مجالها أن تستنبط آدابا فى الطريق ، ومنهجا

فى التربية ومعارج فى المجاهدة والرياضة ، وأن تتحدث عن أمراض القلوب ، وتلونات النفوس وعلاجها وتهذيبها والسمو بها .

ومصدرها فى استنباطها وذوقها كتاب الله وسنة رسوله . . كما استنبط الفقهاء واجتهدوا فى فروع الفقه من عبادات ومعاملات .

والتصوف مثاليات عليا ، يأخذ كل إنسان فيه بما يطيق ، ولكن هذه المثاليات يجب أن تبقى دائما فى أذهان الناس وتصوراتهم ، تمدهم دائما بالصور المضيئة ، والأخلاق الرفيعة ، والمبادئ النبيلة ، والإيمان القوى الحى .

يجب أن تبقى كأفق أعلى ، يعيش فيه من يعيش ، ويتطلع إليه من يتطلع .

تلك هى رسالة المثاليات ، ولا يمكن لدعوة أو لعقيدة ، أن تسود وأن تلهم وأن تخلد ، إلا إذا استهدفت ورسمت وصورت ، أسمى وأعلى ما فى الدنيا من أخلاق ، ومن مبادئ ، ومن مثل ، ومن إيمان ومن خير ونفع للناس .

ومن هنا أقول لصديقنا العلامة الدلهوى : أجل إن التصوف الإسلامى هو الرسالة التى يجب أن ندعو الإنسانية إليها ، وإنه ليعبر أصدق تعبير عن رسالة القرآن ، وهدى الرسول .

إن الحضارة الأوربية اليوم تلفظ أنفاسها الأخيرة ، لقد فقدت القيادة العالمية ، بل فقدت الأمل فى البقاء ، لأنها فقدت الإيمان ، وفقدت الروح والأخلاق ، وضاع منها الحبل الربانى الذى يربط الإنسان بالله .

ولن تجد الإنسانية نجاتها وهداها ، إلا عندنا ، وتلك رسالة التصوف اليوم .

رسالته التى يجب أن يؤمن بها ، وأن يدعو إليها ، وأن يعد نفسه للنهوض بها .

إن الفجر القادم هو فجر التصوف الإسلامى العالمى ، فجر الإخاء والرخاء ، والاطمئنان والإيمان .

الفجر الذى تتحقق فيه كلمات الله وتهيمن وتسود ، الفجر الذى جاءت به الأديان كافة ، ورفعت أعلامه رسالة خاتم النبيين وسيد المرسلين .

والله متم نوره ، ذلك قوله فى كتابه ، وهو أصدق القائلين ؟

العقل بين العلم والعمل

بقلم
الدكتور: محمد مصطفى هدارة

أستاذ الفلسفة الإسلامية والتصوف بكلية الآداب بجامعة القاهرة

كان لحديث النظر والذوق والخلق الذى دار بين الشيخ المرشد وبين مريده المسترشد فى المجلس السابق أثر أى أثر فى عقل هذا المريد وقلبه وعمله : فقد انصرف عن شيخه المرشد فى ذلك اليوم وهو أشد ما يكون امتلاء بالأفكار والأنظار وبالأذواق والأخلاق ، التى كانت مدار ذلك الحديث فى ذلك اليوم ؛ ولم يكد يخلو إلى نفسه منذ ذلك الحين إلى أن عاد إلى شيخه اليوم ، حتى أعمل عقله وقلبه وضميره فيما امتلأ به من هذه الأذواق والأخلاق ، ومن تلك الأفكار والأنظار فإذا هو يتدبرها ويتدبر بها ، وإذا هو يستكنهها وينهل منها ، وإذا هو يمازجها ويروض جوارحه وجوانحه عليها ، حتى أصبح فى غدواته وروحاته ، وفى حركاته وسكناته ، وفى نظراته وخطراته ، أسيرا لها لا يبرحها ولا ينفك عنها . ومن هنا نراه وقد سأله شيخه عن حاله وعما جرى له مع نفسه بعد أن فرغ من حديثه معه إلى حديثه مع نفسه ، يجيب شيخه بقوله :

لقد والله خرجت من عندك بعد حديثنا السابق ، وأنا أحرص ما أكون على أن أعود إليك أقوم مما كنت قبلا ، وأهدى مما أنا سبيلا ، تحقيقا لما ختمت به حديثك ذاك من دعاء ورجاء . وها أنذا قد عدت اليوم راضيا مطمئنا واثقا من أنك ستجدنى منذ اليوم عند دعائك لى ورجائك فى : ذلك بأنى قد عولت

فى حياتى النظرية والروحية والعملية على أن اصطنع ذلك المنهج الذى أجملته لى فى ثلاث هى : النظر العقل السليم ، والذوق القلبى المستقيم ، والخلق النقى القويم : وأخذت أفكر وأنظر ، وأتذوق وأشعر ، وأعمل وأدبر ، على هدى من ذلك المنهج الذى أحسبنى قد أصبحت معه أكثر استعدادا لتحقيق المثل الأعلى الذى تريدنى على أن أحققه على يديك .

وهنا تهلل وجه الشيخ المرشد بشرا ، آية على حبه لمريده المسترشد ، وإيثاره له ، وإعجابه به ، ورضاه عنه وعما يسمع منه ، ثم قال له :

هنيئا لك يابنى ما عولت عليه ، وما وصلت إليه ، فليس أدعى لسعادتى ، ولا أبعث على بهجتى ، من أن أراك فى حياتك العلمية والعملية موفقا ، ومن أن تكون للمثل الأعلى فى هذه الحياة محققا . على أننى أحب أن أنبهك إلى شىء يجب أن تتنبه إليه ، وتحذر منه ، وتتجنب الوقوع فيه أو الخضوع له ، وأعنى بذلك الشىء الفتنة التى تدفع الإنسان إلى حيث يخيل إليه أنه قد وصل من العلم إلى أقصى نهاياته ، وانتهى فى العمل إلى أسمى غاياته ، وأنه لم يعد فى حاجة إلى أن يستزيد من علم أو يجود فى عمل . ذلك ما أعيذك منه ، وأربأ بك عنه ، وألح عليك فى أن تجنب نفسك السبيل إليه . واعلم يابنى أنك مهما علمت ، ومهما أصبحت فى نظر نفسك وفى نظر الناس عالما ، فأنت مع ذلك مازلت جاهلا ، ومن يدريك فلعل الذى تعلمه إذا قيس إلى الذى تجهله فلن يكون شيئا . واعلم يابنى أيضا أنك مهما اطمأننت إلى نفسك ، وإلى أنك تسلك فى عملك مسلك الرجل الفاضل الذى تخلى عن الرذائل وتحلى بالفضائل ، فستظل هنالك مع ذلك فضائل لم تعرفها ولم تتحقق بها ، ومن يدريك أيضا فلعل الذى تجهله من هذه الفضائل ولم تتحقق به بعد إذا قيس إلى الذى علمته وحققته ، وجدت نفسك معه مازلت فى حاجة إلى البحث عنه ، والتماس السبيل إليه ، ومحاولة الاستزادة منه والتحلى به : فإياك إياك يابنى أن يفتنك علمك عن جهلك ، وأن تشغلك فضيلتك عن رذيلتك وأن يلهيك ما استقام منك عما لا يزال معوجا فيك .

وهنا وقف الشيخ عن الكلام ، إذ بدا له أنه قد استرسل واستطرد مع

مريده المسترشد ، وأن هذا الاستطراد وذلك الاسترسال ، وإن كان المحور فيهما من ألزم ما يلزم فى رياضة المريدين وتهذيبهم ، وفى تقويم عقولهم وقلوبهم ، إلا أنه قد يبعد عن الموضوع الذى اتفق الشيخ ومريده على أن يديرا حوله الحديث فى هذه المرة ، كما أبعد عنه فى المرات السابقة . ولهذا استدرك الشيخ قائلا :

ولكن . . . نعم . . . ولكن : أين نحن مما اقترحت أنت فى حديثنا السابق ووافقتك عليه من اصطناع التحديد فى الموضوع الذى يدور عليه الحديث وفى المنهج الذى يتناول به ذلك الموضوع ؟ ألا تذكر أن موضوعنا اليوم هو العقل وطبيعته ، وأننا سندير حديثه على طريقة السؤال والجواب ، فتسأل أنت وأجيب أنا ، حتى يتبين وجه الحق فى حقيقته ؟ .

قال المريد المسترشد :

بلى ، أذكر ذلك ياسيدى ، وأذكر أيضا أنى أنا الذى اقترحته .

قال الشيخ المرشد :

وإذا كنت تذكره ، فلم لم تكن عنده ، ولم لم تذكرنى به ؟ .

وهنا ابتسم المريد المسترشد ، وقال :

لأنك تأخذنى بما فى حديثك من روعة ، وتملك على عقلى وقلبى بما يثيره هذا الحديث من متعة ، ولأنك حين تطلق نفسك إطلاقا و وترسل حديثك إرسالا ، فإنما تفتح لى من أبواب النصح والرشاد ، وتتيح لى من وسائل النجح والسداد ، وذلك على وجه أوسع وأنفع — استغفر الله — بل على وجه أروع وأمتع ، مما لو فتحت من أبواب ، وأتحت من وسائل ، حين يكون موضوع الحديث محددا ، وتكون أنت فى هذا الحديث متيدا .

قال الشيخ المرشد :

دعنا من هذا الكلام الآن ، وهلم بنا إلى موضوعنا ، ندير حوله الحديث بيننا ، فقد آن لنا أن نقبل عليه ، وأن نعرض له .

قال المريد المسترشد :

لعل أول مايجب أن نعرض له من موضوع حديثنا اليوم وهو العقل ، هو أن نعرف ما هو هذا العقل ، وهل من سبيل إلى تعريفه تعريفا جامعا ما نعا يكشف عن حقيقته ، ويظهرنا على طبيعته ؟

أجاب الشيخ المرشد فقال :

الحق أننا نجد للعقل تعريفات عدة ومتفاوته ، تتعدد وتتفاوت بتعدد أصحابها وتفاوت الواضعين لها ، وتختلف أو تأتلف باختلاف أولئك وهؤلاء أو بأتلافهم حول نوع العقل الذى يعرضون له ، ويقصدون إلى تعريفه :

فهنا لك الجمهور من العامة ؛ وهنا لك العلماء الطبيعيون من أصحاب الواقع المحسوس الذين يعولون فى علومهم ومعارفهم على المنهج التجريبى القائم على المشاهدة الحسية والتجربة العملية ؛ وهنا لك الفقهاء من أهل الظاهر الذين يصطنعون منهجا قوامه النقل والعقل ؛ وهنا لك المتكلمون من أرباب الجدل الذين يقيمون علمهم على دعائم من الأنظار العقلية إلى جانب ما يقيمونه عليه من النصوص المقدسة الدينية ؛ وهنا لك الصوفية الذين يصلون إلى العرفان عن طريق الذوق والعيان ، وتنكشف لهم حقائق الأمور بنور يقذفه الله فى قلب الانسان ؛ وهنا لك الفلاسفة المتخصصون بالعقل على الحقيقة ، المصطنعون للمنهج العقلى الخالص فيما هم بسبيله من كشف عن الحقيقة ؛ وهنا لك الحكماء الإشراقيون الذين يوغلون فى البحث النظرى اعتمادا على العقل من ناحية ، وفى الكشف الصوفى استمدادا من الذوق الروحى من ناحية أخرى ؛ وكل أولئك قد اصطنعوا العقل كثيرا أو قليلا ، وعرضوا له هنا أو هناك فى مواطن مختلفة من أقوالهم ومناهجهم ومذاهبهم ، ولكننا لانكاد نجد لهم ، بل لانكاد نجد للفريق الواحد منهم ، تعريفا واحدا يجمع عليه أفراد هذا الفريق الواحد ، أو أفراد تلك الطوائف جميعا . وإنما الذى نجده هو طائفة من التعريفات تتعدد بتعدد طوائف المعرفين وتختلف باختلاف أفرادهم ؛ ومن هنا ترى أنك لكى تصل فى ما هية العقل وحقيقته إلى ما يشبع رغبتك ، ويرضى حاجتك ، فلا بد لك من أن تلم وتحصى ، ومن أن تستقرئ وتستقصى ، ومن أن تحاول أن تلتمس أوجه الشبه وأوجه الخلاف ، سواء بين تعريفات العقل ، أو بين طوائف المعرفين .

قال المريد المسترشد :

أفهم من هذا أن تعريف العقل تعريفا جامعا ما نعا ، وعاما شاملا ، ومقبولا لدى الناس جميعا ، أو لدى سوادهم الأعظم بصفة خاصة ، أو لدى خاصتهم من أصحاب العلم وأرباب العرفان بصفه أخص ، ليس من السهولة واليسر بحيث نجده ، أو نجد السبيل إليه .

قال الشيخ المرشد :

نعم ، هو كذلك .

وكيف لا يكون ذلك كذلك ، وقد تعددت أصناف المطالب والطالبين ، وتنوعت ألوان المعارف والعارفين ، واختلفت طرق أولئك وهؤلاء فى الوصول إلى مطالبهم ، والحصول على معارفهم ! وهاهوذا أبو حيان التوحيدى قد نقل عن أبى سليمان المنطقى كلاما كنت أقرؤه قبل أن تحضر إلى ، ومن عجب أن يكون هذا الكلام متصلا بما نحن بسبيل الإبانة عنه من حقيقة العقل وطبيعته . وليس من شك عندى فى أنك لو قرأت معى الآن بعض ما نقله أبو حيان عن أبى سليمان ، لا سيما حديثه الرائع الممتع الذى أجمل فيه معارف الناس وقسم أصولها ، لعرفت كثيرا من المعارف ، ولوقفت على كثير من اللطائف ، التى تتصل من قريب أو من بعيد بموضوع حديثنا اليوم . وإليك مقابسات أبى حيان ، استخرج منها المقابسة الخامسة والعشرين ، ثم اقرأ بلسان عربى سليم وبصوت واضح مبين .

وهنا أمسك المريد المسترشد بالمقابسات ، وجعل يقرأ كلام أبى سليمان فإذا هو يقول :

« معارف الناس بالقول المجمل على التقريب تنقسم أصولها إلى : الظن والوهم ، والحدس والعقل ، واليقين والشك ، والغالب والسابق ، والايهام والايحاس ، والخاطر والسانح واللائح . ثم إن هذه كلها تتخالف مرة وتتلابس أخرى ، وتراآى مرة وتتوارى . ولن يخلص مطلب من المطالب ، ولا مذهب من المذاهب ، من شوب مثلها ، على قدر القلة والكثرة ، والضعف والقوة ، واللين والشدة ، وعلى حسب المزاج والهيئة ، والخلط والطبيعة ، والمنشأ والعادة ؛ وعلى ما يعجب

الإنسان من استبداده أو تقليده ؛ ولو خلص مظنونه من موهومه ، وتميز محسوسه من معقوله ، وانفصل معلومه من مجهوله ، وبان ملتمسه من هواه ، لكان لا يدخل الظن فى العلم ، ولا يدب الحس فى العقل ، ولا يتفشى العقل فى الحس ، ولا يكدر الحق بالباطل ، ولا يصفو الباطل بالحق ، ولتوضحت الأشياء بأعيانها ، ونقيت من أدرانها ، وزال شك الناظر فى أثنائها ، ووقع على حقائقها وأنبائها ، وعاد ثلج الصدر باليقين ، معمور النفس بالسكون ، غنيا عن تأليف القياس والبرهان وتصنيف فنون القول والبيان .

« ولكن الإنسان مضروب بالظن والحدس ، ومصنوع بالعقل والحس ، ومردد بين النقص والزيادة ، ومعرض فى كل وقت للشقاوة والسعادة ، لا فكاك له من جميع ذلك مادام فى مسكه الطبيعى ، وعقله الجزئى ، وجهله الكلى ، اللهم إلا أن يلبسه الله لباس الرحمة ، ويغشيه غشاء العصمة ، فحينئذ إن قال قال الصواب وإن فعل فعل الواجب ، وإن اعتقد اعتقد الحق ، وإن هم هم بالخير ، وإن نوى نوى الجميل ، وإن حث حث على الصلاح ، وإن زجر زجر عن الفساد ، وإن لحظ لحظ العلو ، وإن غض غض عن السفل .

« فقال له بعض الحاضرين : فكأنه يفارق الطبيعة البشرية ، وينسلخ من العوائق العنصرية ؟

« فقال : يفارقها من وجه ، ولا يفارقها من وجه : يفارقها بأن يميت هواجسها إماتة ، ويسكن سوانحها تسكينا ، ويخمد لواهبها إخمادا ، ويقتدر على بلوغ هذه الغاية اقتدارا ؛ ولا يفارقها بأن يبقى إنسانا لا طبعة له ولا مزاج ولا بشرية ؛ هذا ما لا يجب ولا يكون ، وقدر ما أمكن من ذلك قدرا يجاوز كل أمنية ، ويشرف على حال سنية ؛ وهذه هى حال الفلاسفة الكبار ، وحال البررة الأخيار ، وحال من قد خصه بالزلفى ، وأناف به على الذروة العليا . . . »

وهكذا قرأ المريد المسترشد بين يدى شيخه المرشد هذا الكلام الذى نقله أبو حيان عن أبى سليمان ، ولم يكد يفرغ من قراءته تلك ، حتى ابتدره الشيخ بقوله متسائلا ومعقبا فى آن واحد :

أرأيت إلى أبى سليمان ، كيف كان من دقة التبيين وروعة البيان ، وبراعة التقسيم والتصنيف ، ومهارة التعرف والتعريف ، بحيث استطاع أن يقدم إلينا فى هذه العبارة الموجزة المؤتلفة ، والفقرات المركزة المتسقة ، ألوانا من العلم ، وضروبا من العرفان ، وفنونا من العمل ، منها ما يصدر عن الحس ، ومنها ما يصدر عن العقل ، ومنها ما يستمد من القلب ، ومنها ما يحصل عن التآلف الذى يقع بين بعض هذه الملكات وبين بعضها الآخر ؟

ثم ، أرأيت إلى أن أصول المعارف الإنسانية التى قسمها أبو سليمان ها هنا على وجه الإجمال ، إنما يشير كل أصل منها إلى علم من العلوم الواقعية أو العقلية أو النقلية أو الذوقية وكلها علوم تتفاوت حظوظها من الإقبـــال على العقل أو الإعراض عنه ، الأمر الذى أراني معه مضطرا إلى أن أحيلك على الآثار الخصبة القيمة التى خلفها العلماء والفقهاء والمتكلمون والصوفية والفلاسفة والحكماء الاشراقيون وأن أخلى بينك وبين هذه الآثار ، تخوض غمراتها ، وتقتحم عقباتها ، وتستخلص منها ماشئت أن تستخلص من المعانى المؤتلفة أو المختلفة ، وتخلص منها إلى ماشئت أن تخلص إليه من وجهات النظر المتقاربة أو المتباعدة ، حتى إذا تهيأ لك من هذا كله حظ موفور ، وعدت إلى عند حديثنا المقبل ، وقفت معك عند بعض التعريفات التى عرف بها العقل ، والتى سأذكرها لك ، وأعرضها عليك ، على سبيل المثال لا الحصر ؛ فلعلك أن تجد فيها بعض ما يعينك على أن تتعرف ماهية العقل ، وتستكشف حقيقته ، وتستشف طبيعته ، على وجه إن لم يكن شاملا لكل المعانى من كل الوجوه ، فلا أقل من أن يكون ملما بها ، أو مشيرا إليها ، من أكثر الوجوه ، ولعلنى أستطيع بعد ما قدمت إليك ، وبعد ما سأعرض عليك ، أن أنتهى معك إلى الكشف عن المعانى النظرية والروحية والعملية للعقل وهى هذه المعانى التى أحب أن أقرها فى عقلك وقلبك وضميرك ، وأن تؤثرها وتتخذ منها قواما لمنهجك ومذهبك ، سواء فى قولك ونظرك ، وفى علمك وعملك .

الايمـان المطمئن

بقلم
الدكتور: عبد الحليم محمود

« ومن آناء الليل فسبح
وأطراف النهار لعلك ترضى »

— ٥ —

ودين الله نزل صافيا من السماء منذ آدم ، ولكن أهواء البشر غيرت فيه على مر الزمن وبدلت وانحرفت بالكثير منه إلى طريق غير مستقيم يتعارض مع العقل، ولا ينسجم مع المنطق .

ولعل الذين يلحدون ، بسبب العقائد التى انحرفت ، لهم بعض العذر .

فإذا قلت لإنسان : إن التوراة تروى أن الله نزل إلى الأرض كائنا بشريا ، وسار فى مزرعة سيدنا إبراهيم ، دون استئذان صاحب المزرعة ، فلما رأى إبراهيم هذا الغريب يسير فى المزرعة ، فى حرية وعدم مبالاة ، ثار كبرياؤه ، فحصلت بينهما مشادة ، والتحما فى معركة حامية ، أوشك إبراهيم فيها أن يصرع إلهه ، وان يطرحه أرضا ، لولا أن الإله المشفق على نفسه من السوط والهزيمة النكراء ، صارح إبراهيم بحقيقة أمره ، فأطلق سراحه بعد أن أخذ عليه العهود والمواثيق لبنى جنسه .

إذا قلت لإنسان هذا ، فليس من الغريب أن يلحد فى التوارة ، وله العذر إذا ماشك فى الدين الذى يقوم على هذا الكتاب .

وإن أى إنسان مميز ، تقول له عن كائن معين بالذات ، ولد فى يوم محدد وفى شهر معين ، ونشأ كما ينشأ الآخرون . . إذا قلت لإنسان مميز إن هذا الكائن مولود غير مخلوق ، وإنه أزلى ، وإنه واحد ، ومع ذلك فهو ثلاثة فى الوقت الذى هو

فيه واحد ، وواحد فى الوقت الذى هو فيه ثلاثة ، إذا قلت لإنسان ذلك فشك وألحد فى دينه ، فله العذر .

وكلمة القديس أوغسطين : « إنى أومن بهذا لأنه غير معقول » غير مستساغة لدى أصحاب المنطق والتفكير السليم .

ولكن من البداهة أن الشك فى دين معين لايقتضى الشك فى جميع الأديان .

وإذا كان البطلان قدظهر ، بالنسبة لدين خاص ، فليس معنى ذلك أن البطلان يتعدى ذلك إلى غيره .

وكان من الواجب ، إذن ، أن يبحث هؤلاء عن دين لم ينله التحريف والزيف .

وفى الواقع ، بحث كثير منهم فاهتدوا إلى الحق ، واعتنقوا الإسلام . بيد أن طريقهم ـ والحق يقال ـ لم يكن ممهدا .

وهذا الطريق لم يزل للآن غير ممهد ، والمسلمون فى غفلة عن نشر دينهم ، وهى غفلة سيحاسبهم الله عليها حسابا عسيرا !!

حدثونا بالله عن قطر من أقطار الإسلام ، قام بالتبشير للإسلام !!!

حدثونا بالله عن الآلاف من الجنيهات التى أنفقها ملوك المسلمين وأمراؤهم ، فى سبيل الدعوة الإسلامية !!!

— ٦ —

والاستعمار .. لقدحاول الاستعمار أن ينشر الإلحاد فى جميع البيئات الإسلامية.

لقد حاول أن ينشر بالرغبة ، والرهبة ، وحاول أن ينشره بغرس الأمانى والآمال فى نفوس الضعفاء .

ومن المعروف أنه لما فشلت دعوى المبشرين فى أن يعتنق المسلمون المسيحية ، رأى الاستعمار أن يتخذ فى كل قطر إسلامى دعاة للإلحاد ، يغريهم بالمال ، ويرفع مكانتهم بالزيف والباطل .

وقد وجد بالأقطار الإسلامية من لبى دعوة الاستعمار ، واصبح من دعاته .

أما فى الهند ، فقد أسس الاستعمار مدرسة لتعليم الإلحاد ، كانت هى السبب فى أن أخرج لنا السيد جمال الدين الأفغانى رسالته الطريفة ، فى الرد على « الدهريين »

والحق : أن الاستعمار وجد أقلاما داخل الأقطار الإسلامية نفسها ، ولكنه لم ينته إلى الثمرة التى أراد .

فالاستجابة لهذه الأقلام ، وخروج المسلمين من دينهم كان ، ولا يزال ، معدوما أو شبه معدوم .

بيد أنه من المؤسف حقا ألا تكون الحملة الفكرية ضد الآراء الإلحادية منظمة تنظيما يدعو إلى التفاؤل والطمأنينة . . .

هل أوجه اللوم إلى الأزهر أيضا ؟ . . . إن منزلة الأزهر فى نفوس المؤمنين من المصريين ، ومن المسلمين عامة ، منزلة كبيرة .

والمسلمون ، فى ج . ع . م وخارج ج . ع . م ، ينتظرون من الأزهر الكثير .

ويرجون أن يكون الأزهر : قادته ، ومدرسوه ، وطلبته ، جنودا فى سبيل الله

وإذا كان الاستعمار لم يكتب له النجاح فى دعوته الخبيثة . فإنه قد نجح فى إيجاد طائفتين بين المسلمين — محدودتى العدد لا شك فى ذلك — تتطلبان علاجا .

أما إحداهما : فهى طائفة مثقفة ، قرأت الأقلام التى استأجرها الاستعمار ، وقرأت ما عندنا من كتب معقدة كتبت فى عهود التدهور الفكرى الإسلامى ، فثارت بعض الاضطرابات فى نفسها ، بعض البلبلة فى خواطرها . . .

وانتهى الأمر إلى الضيق النفسى الذى يتطلب الهدوء ، ويسعى إلى الطمأنينة ، ويأمل فى رحمة الله غوثا وإنقاذا ! ! !

وطائفة أخرى مطمئنة هادئة ، لم يثر فى نفسها شك ، ولم يتخلل إيمانها ريبة ، ولكنها تريد وتتلمس الكشف عن أساس إيمانها ! ! !

كيف عالج الإسلام هذا الموضوع ، وما هو المنهج الذى سار عليه ليرسى قواعده وطيدة مدعومة ؟

وهل سار علماء الكلام الإسلاميون وفق ما رسمه الإسلام فى هذا المجال ؟ وما المسلك الذى ينبغى أن نسير عليه الآن ؟

هذه جوانب من الموضوع نرجو أن يعالجها حملة الأقلام من المسلمين النابهين ومن الله نستلهم الرشاد والتوفيق .

عمـــــــر الخيام

بين التصوف . والفلسفة . والحياة

للدكتور محمد عبد الهادى أبو ريده

تقع حياة الخيام ، أو « حكيم نيسابور » كما يسمى — فى القرنين الخامس والسادس للهجرة . وكان القرن الخامس فى ايران يمـوج بمختلف التيارات الفكرية المتعارضة . فهو عصر القشيرى والجوينى والغزالى من أئمة علوم الشرع ، وعصر الوزير نظام الملك من أئمة السياسة والإصلاح . وعصر الحسن الصباح وجماعات الباطنية والأباحية وأمثالهم من أهل الفساد . وعصر تلاميذ ابن سينا فى الفلسفة . وهو أيضا عصر عمر الخيام الذى يقف إلى جانب أكبر الشخصيات .

ونحن لا نكاد نعرف عن حياته الخاصة شيئا ، وأغلب الظن أنه كان من أسرة مغمورة . ولا يخلو إسمه من دلالة على أصل أسرته وصناعتها . وإن كان البعض يزعم أن تسميته الخيام هى تسميته كشاعر . ولكن الخيام وجد من يرعاه حتى تعلم ونبغ . فعرف نظام الملك . بل يقال أنه كان زميلا له فى الدراسة .

وقد استعان الوزير المصلح بسعة معارف الخيام فى علم الفلك فكلفه هو وغيره من أعيان المنجمين باصلاح التقويم للسلطان ملكشاه السلجوقى . وكان علم الخيام سببا فى أن عرفه الملوك واستعانو بعلمه وأولوه من التعظيم مالا يكون إلا للعلماء . وقد التقى الخيام أيضا بالإمام أبى حامد الغزالى . فناظره الغزالى فى مسائل من الفلسفة . ويرى أكثر من باحث أن بعض آراء الغزالى فى نقد الفلسفة والفلاسفة موجه للخيام ، وأن بعض رباعيات الخيام موجه للغزالى .

واذن لم يكن الخيام شاعرا فحسب بل كان فيلسوفا . وهو يعتبر من أكبر ممثلى العلم اليونانى وخليفة ابن سينا فى فنون الحكمة . كما يعد فلكيا ذائع الصيت . ورياضيا يشهد له مؤرخو العلم الأوربيون بأنه من أعظم علماء الرياضة فى العصور الوسطى . وقد نشر كتابه ، فى علم الجبر والمقابلة فى أوروبا منذ أكثر من قرن كما نشرت هناك بعض رسائله الفلسفية ولا يزال بعض كتبه فى الهندسة والطبيعة وغيرهما محفوظا فى نسخته الخطية فى دور الكتب بأوربا

ولكن شخصية الخيام قد أحاط بها من الحكايات ما أحاط بعظماء المفكرين . من ذلك ما يحكى من أمر الميثاق الذى كان بينه وبين الحسن الصباح ونظام الملك ، وهم ما يزالون فى المكتب ، بأن من صار منهم ذا شأن يأخذ بناصر صاحبيه ، فأسعد نظام الملك حظه فصار وزيرا مصلحا ، وغلبت على الصباح شقاوته فصار سفاكا قاسيا ، وقدر للخيام أن يعيش عالما سعيدا بالحياة الهادئة المتواضعة !

أما الأهم من ذلك كله فهو هذه الرباعيات التى تنسب للخيام والتى جعلته معروفا فى العالم كله ، وجعلت له مكانا كبيرا فى الفكر الإنسانى . ونسبة هذه الرباعيات للخيام مثار مشكلة تاريخية لم يصل العلماء بعد إلى حلها . فبعض المؤرخين الأولين لا يعرفون من أمر الخيام إلا أنه كان فيلسوفا وعالما ، وهم لا يذكرون له شعرا فضلا عن الرباعيات بما فيها .

ويدل كلامه فى كتبه على ايمان بأصول الدين ، يقوم على العلم والبرهان.

بل يروى من أخبار وفاته ما يدل على الإيمان ، فقد حضرته الوفاة وهو يتأمل كتاب الشفاء لابن سينا ، فدعا الأوصياء وكتب وصيته ، وقام وصلى ولم يأكل ولم يشرب . حتى إذا صلى العشاء الآخرة سجد وكان يقول فى سجوده : « اللهم تعلم أنى عرفتك على مبلغ إمكانى ، فاغفر لى ، فإن معرفتى إياك وسيلتى إليك » ثم أسلم روحه . ولكن بعد أن توفى الخيام بأكثر من قرن بدأ بعض العلماء يتهمه بمخالفة الشرع ، فمنهم من يشير إلى رباعيات له فى التصوف ، وقف عليها بعض الصوفية فنقلوها إلى طريقتهم وتحاضروا بها فى مجالسهم ولكن باطنها مضاد للشرع . ومنهم من يذكر له رباعيات تنزع إلى الشك والإباحة ثم أخذت تظهر مجموعات من الرباعيات منسوبة له ولم يزل حجمها يتضخم حتى بلغت عددا كبيرا ، ومعظمها

متشابه فى الفكرة والموضوع ، وقد لا يخفف من ثقل ما يشوبها من تكرار الا تنوع صورة التعبير فيها تنوعا بارعا متجدد الطرافة . والا عمق الفكرة ونفاذها وضربها على أوتار حساسة فى النفس البشرية ، وتناولها أشياء فى غاية التناقض ، من رباعيات تنحو نحو الشك والدعوة إلى اللذة وأخرى تنحو نحو الإيمان والحب الالهى وتنزع منزع الزهد والتصوف.

ونظرا لأن الخيام كان فيلسوفا عالما وأنه لم يقم دليل قاطع على أن هذه الرباعيات من شعره حقيقة ، ولا دليل قاطع على براءته منها ، فإن الباحثين قد اختلفوا فى أمرها — كالمستشرق الألمانى شيدر ، من لا يرى فى الخيام إلا أنه عالم فيلسوف فحسب وينكر نسبة الرباعيات إليه انكارا تاما ويعتبرها لخيام أسطورى اعتبر رمزا للالحاد والمادية، ومنهم من ينسب إليه الرباعيات الصوفية ويعتبر غيرها منحولا باسمه ، ومنهم من يؤول الرباعيات التى تتحدث عن الخمر والحب على أنهما رمز للفكر الحر أو للهيام فى محبة الله ، كما فعل المستشرق الفرنسى نيقولا ، ولكننا إذا صرفنا النظر عن المجموعات الكبيرة للرباعيات وشككنا فى نسبتها للخيام فإن فى كتب العلماء رباعيات منها منسوبة إليه على كل حال . ولا عجب أن تكون للخيام رباعيات، لأن الرباعيات كانت نوعا أدبيا معروفا فى عصره وقبل عصره ، وقد اصطنعه الفلاسفة والصوفية وكثيرون ممن تكلموا فى الحكمة الدينية والدنيوية . ويؤخذ من كلام المؤرخين عن الخيام ما يدل على أنه كان ضيق الروح ضنينا بحكمته حاد المزاج . وهذا من علامات التشاؤم . وكانت روح العصر كله روح انحلال روحى وخلقى ، حتى لقد صارت النزعة الإباحية فلسفة انتحلها المفسدون وروجوا لها بأدلة خادعة وشبه باطلة .

مهما يكن من شىء فإن قيمة الرباعيات تنحصر فى أنها تعبر عن أحوال ونزعات انسانية . ولا يصح أن يستلفت نظر الإنسان فيها ما يجده من دعوة إلى المتاع قبل إنتهاء هذه الحياة الفانية بقدر ما يجب أن يستلفت نظره ما فيها من صراع نفسى ، من شعور بالحياة فى مشكلتها الكبرى وسرها العميق ، وما فيها من نزعات التصوف والمحبة لله . وهى إذا كانت تعبر عن روح الشك فى الحقائق فإن

هذا تنبيه على غرور المخدوعين الذين يزعمون أنهم بلغوا إلى معرفة الحقيقة مع بعدهم عنها ، وإذا كان فيها دعوة للمتاع واعتراف بالذنب فذلك لا يخلو من تشنيع على أهل الرياء والنفاق الذين يتظاهرون بالفضيلة وتعظيم الشرع ، وهم يفعلون غير ما يقولون وإذا وجدنا فيها تعبيرا عن الحيرة أمام سر الحياة ومجرى الأقدار ، ففى ذلك إشارة إلى من يدعون معرفة ذلك السر المكنون.

فنحن إذا وجدنا رباعية تدعو إلى القيام فى السحر والمبادرة للشراب فإننا نجد رباعية كهذه : « يارب لو كانت ذنوبى ملء الأرض فإنى آمل أن تأخذ بيدى ، لقد قلت أنك آخذ بيدى يوم العجز ، فلن أكون أعجز منى اليوم ، فخذ بيدى الآن ؟ » أو كهذه الرباعية « رب نجنى من الحساب فى القليل والكثير ! ونجنى شر نفسى لأشتغل بك . وما دام عقلى معى فإنى أعرف الخير والشر فأسكرنى بحبك حتى أتخلص من الخير والشر ! » وغير ذلك من الرباعيات التى تتحدث عن المحبة الألهية وعن أنها السبيل الوحيد للنجاة .

لقد اشتهر الخيام فى الشرق بأنه شاعر ماجن ، وغفل الشرق عن الخيام العالم الفيلسوف . أما فى الغرب فقد عرف الخيام فيلسوفا وشاعرا فى وقت واحد . وقد وجد من الباحثين من يقدر له جهوده فى العلم والحكمة ومن الشعراء والمفكرين من أعجب بآرائه من حيث موضوعها ومن حيث صورتها الفنية .

ولقد مكن للخيام فى نفوس الأوربيين أن كل رباعية تعبر عن فكرة كاملة فى صورة قصيرة ساحرة من الناحية الفنية ومن منا يقرأ رباعية كهذه ثم لا يعجب بها ؟ .

« يقال إن الحجر بفضل الصبر ، وهو مطمور فى أعماق الأرض ، يستطيع أن يتحول إلى زمرد — نعم هو يستطيع ذلك ، لكنه يستطيعه بدم قلبه » .

وقد توفر على دراسة الخيام كثيرون من الباحثين الأوربيين فى حماس شديد ، وكان أول من تنبه إليه وترجم شيئا من رباعياته هم المستشرقون الألمان منذ ١٨٢٧ ، ثم طار اسمه فى أوربا وأمريكا منذ حوالى قرن بعد أن ترجم الشاعر الانجليزى فيتزجيرالد بعض رباعياته التى تدعو الى متاع الدنيا شعرا انجليزيا . ثم كثرت الترجمات لرباعياته إلى كل اللغات ، وأخذ الخيام مكانه فى الأدب العالمى . : ومن المستشرقين

مثل فريدرنج فون روزن من ترجم الرباعيات شعرا ألمانيا ساحرا احتفظ فيه بنظام القافية فى الألمانية كما هى فى الفارسية وبوب الرباعيات بحسب الموضوعات التى تتناولها .

والذى خلب لب الأوربيين فى الرباعيات صدقها فى تصوير موقف الآدمى فى هذه الحياة وتصوير الصراع بين شوق الإنسان إلى الدنيا وبين شوقه إلى ما بعدها ، وخوفه من الله مع أمله الوطيد فى سعة رحمته ، وبيان مأساة الحياة الإنسانية وغموض سرها الذى ينتهى العمر من غير أن يعرف الإنسان منه شيئا ، وتصوير هذه الحيرة التى تساور الإنسان أمام تصرفات الأقدار .

وإذا كان الباحثون الأوربيون يشيدون بفضل الخيام فى الفلسفة والعلم فهم يعجبون خصوصا بعبقريته الشعرية ، وطرافة تفكيره ، وقد بلغ من تحمسهم له أن تأسست فى لندن جمعية اتخذت لها ناديا أسمته نادى عمر الخيام ، ومن المعجبين به من زار قبره فى نيسابور .

وفى سنة ١٨٩٣ ذهب أحد أعضاء الجمعية إلى نيسابور ، وجاء ببذور من الورد النابت عند مقبرة الخيام ثم استنبتت هذه البذور ، فأنبتت وردا أحمر ، وضعته الجمعية على قبر الشاعر الإنجليزى فيتز جرالد الذى نقل إلى الإنجليزية شعر الخيام .

وليس من شك فى أن الخيام كان انسانا حساسا ، ومفكرا طريفا يحار الإنسان فى الحكم عليه ، فكثير من الرباعيات التى تنسب له ، يحتمل التأويل على أكثر من وجه ، ومن الباحثين الأوربيين من يعتبره رمز الروحانية ، وشاعر الحب الآلهى ومنهم من يرى فيه رمز المادية وشاعر الفسق والمجون .

لكن فى رباعية للخيام هذا البيت :

« كل يريد أن يجعلنى على مذهبه ، ولا حق له فى ذلك ، لأن لى مذهبى » .

وإذا كان الخيام هو ذلك الشاعر الشاك المتحير ، المسرف على نفسه فلا عجب أن يتحير المفكر ، ولكن العجب أن يظن أنه قد استقر فى مهاد اليقين مع أنه متمكن فى عالم الأوهام ولا عجب أن يسرف الإنسان الضعيف على نفسه بل العجب أن يصر على اسرافه ، لكن الخيام كما تصور الرباعيات كان انسانا بالمعنى الصحيح فكر فشك ثم آمن وأناب . وما أجمل قول الله تعالى :

« قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا ، انه هو الغفور الرحيم » .

من بدائع الذوق الصوفى :

رسالة لسيد الطائفة

الإمام الجنيد

كتب الإمام الجنيد ، إلى أبى بكر الكسائى رضوان الله عليهما ، فقال :

« ... كتابى إليك أبا بكر ، وأنا أحمد الله حمدا كثيرا ، وأسأله العفو والعافية فى الدنيا والآخرة ، وصل إلى منك كتب فهمت ماذكرت فيها ، ولم يمنعنى من أجابتك عليها ، ماوقع فى وهمك ، وشق على ما ذكرت من غمك ، وليس حالك عندى حال معتوب عليه ، بل حالك عندى ، حال معطوف عليه ، وبحسبك من بلائك أن أكون سببا للزيادة فى البلاء عليك ، وإنى عليك لمشفق ، وإنما منعنى من مكاتبتك ، لأنى حذرت أن يخرج ما فى كتابى إليك إلى غيرك ، بغير علمك ، وذلك أنى كتبت منذ مدة كتابا إلى اقوام من أهل إصبهان ، ففتح كتابى ، وأخذت نسخته ، استعجم بعض مافيه على قوم فأتعبنى تخلصهم ، ولزمنى من ذلك مؤنة عليهم ، وبالخلق حاجة إلى الرفق وليس من الرفق بالخلق ملاقاتهم بمالا يعرفون ، ولا مخاطبتهم بمالا يفهمون وربما وقع ذلك من غير قصد إليه ، ولا تعمد له ، جعل الله عليك واقية وجنة وسلمنا وإياك ، فعليك رحمك الله ، بضبط لسانك ومعرفة أهل زمانك ، وخاطب الناس بما يعرفون ودعهم مما لا يعرفون ، فقل من جهل شيئا إلا عاداه ، وإنما الناس كالأبل المائة ليس فيها راحلة ، وقد جعل الله تعالى العلماء والحكماء رحمة من رحمته ، وبسطها على عباده ، فاعجل على أن تكون رحمة على غيرك ، إن كان الله قد جعلك بلاء على نفسك واخرج إلى الخلق من حالك بأحوالهم ، وخاطبهم من قلبك على حسب مواضعهم فذلك أبلغ لك ولهم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

اخترنا لك :

من عيون الادب الفارسى

الدرويش والقاضى

الدكتور يحيى الخشاب

ذهب درويش فقيه ، رث الثياب ، إلى مجلس القضاة ، ليسمع مناظرة لهم ، وكان شغوفاً بالعلم ، محباً للشريعة ، فجلس فى الصف الأول ، حتى يحسن الإنصات ولا يفوته شىء . وأقبل كبير القضاة فرأى رجلا قبيح المنظر ، قذر الملبس ، قد تقدم الصفوف واتخذ فى صدرها مكانا ، فنهره متأففاً . وجاء المعرف (الحاجب) فغضب أكثر مما غضب سيده ، فأمسك بالرجل ،وجذبه من كمه ، وأمره بالوقوف وراح المعرف يؤنب الفقير الدرويش على ما اجترأ من تخطى مرتبته واغتصب من مراتب الفقهاء . أفيرقى أى رجل إلى الصدر ؟ أليس الناس درجات ، وأنهم بالفضل والقدر يتفاوتون كرامة ورتبة ؟ وكيف يسوغ عاقل لنفسه أن يجعل منها أسداً ولم يعط مخالب الأسود ؟ وظل المعرف يكيل اللوم للرجل ، ساخراً منه ، هاذئا به ، حتى تعب من كثرة ما تكلم ، واكتفى بمالقى الدرويش من خجل ، وبما أنزل به من عقوبة التقريع .

أما الدويش فقد نظر إلى القاضى ومعرفه متأوهاً زفرات كالنار تحترق وقد ترك مجلسه فى الصدر وذهب إلى آخر صف وجلس .

هيهات أن يهبط من عليائه من تأخر عن الصدر مجلسه ، ومن أوتى العزة لا يخفضه أن يكون مجلسه المقعد الأخير ،

* * *

وجاء الفقهاء فأخذوا يتحدثون ثم بدأ الجدل بينهم فيما يعرضون له من القضايا

كل يلقى بحجته ، ثم يستمع إلى رأى أصحابه . واشتد الجدل ، وحمى وطيس النقاش وكثرت لم ؟ ولا نسلم ! وامتدت الرقاب وصاحوا بلا وبنعم . تحسبهم ديوك القتال قد مدت رقابها وحددت مناقيرها ، ينقر بعضها بعضاً ، وأعملت مخالبها ليثخن كل خصمه ببالغ الجراح : تراهم وقد أفقدهم الغضب وعيهم ، فكان بعضهم يترنح من الغيظ كأنه سكران ، وبعضهم يضرب الأرض بيديه كأنه به مسا .

وأدى بهم الجدل إلى قضية لم يجد أحد منهم مخرجاً لها ولكنهم ظلوا يتجادلون لجاجاً ، حتى التجت الأصوات .

* * *

فلما أيقن الدرويش أن القضاة قد أسقط فى أيديهم ، وأنهم جميعاً قد عجزوا عن حل ما عرض لهم ، قام من الصف الأخير ، ومشى مخترقاً الصفوف كأنه أسد العرين . فلما بلغ المنصة التفت إليهم وقال : عجبت لكم ياصناديد الشريعة ويا علماء الفقه والأصول إنكم لا تدعمون بالحجة قولكم ، ولكنكم تتصايحون وتنفخون عروق رقابكم ، وما هكذا تساق البراهين ، ولا هكذا تحل القضايا . ثم عرض الدرويش لموضوع الجدل ، فصال فيه وجال ، فاقتنع القضاة برأيه ، كأنه قدأمسك القلم بيمينه ونقش به الحجج على قلوبهم .

وأقبل الفقهاء جميعاً يهنئون الدرويش بسعة علمه ،وحدة ذكائه واستقامة منطقه، وجمال طبعه . وقد نظر إليه القاضى الذى نهره وطرده واستعان بالمعرف ليزيده تعزيراً ، وقد خيل إليه أنه غارق فى الوحل لا يستطيع منه حراكا ، بينما الدرويش يسوق حصان القول سباقاً إلى الميدان .

ونادى القاضى المعرف ، ثم خلع ثوبه وعمامته ، وبعث بهما معه ، مع الإنعام والإجلال ، إلى الدرويش . معتذراً إليه بأنه لم يكن يعرف قدره فبدرت منه البادرة ، سائلا العفو عن التقصر لأنه لم يقم بخدمته بنفسه ، آسفاً لأن يراه رث الملابس رقيق الحال ، مع هذه المرتبة الرفيعة من العلم والخلق .

وأقبل المعرف فى لطف وخشوع وأدب جم فوضع العمامة فوق رأس الدرويش، ممسكاً الثوب بيديه ليعينه على لبسه . ولكن الدرويش دفع المعرف عن نفسه ،

ونزع العمامة وأعطاه إياها قائلا :

— اذهب إلى حيث جئت ولا تضع فوق رأسى قيد الغرور ، إنى أخاف على هذا الرأس أن ينوء بعبء عمامة قاضيك وقد لفت بخمسة أذرع من القماش ، اذهب فإنى أخاف على نفسى أن تملأ غروراً إذا ما لبست العمامة الكبيرة ولقبت المولى أو الصدر الكبير ، فأرى الناس صغاراً وقد يكونون أكبر منى فضلا ومكانة عند ربى . ماذا على من هذه العمامة ؟

وأى فرق يطرأ على الماء الزلال فى كأس من الذهب وضع أو فى كأس من الفخار ؟

إن العقل والحكمة أحب إلى رأسى من هذه العمامة الجميلة :

إن العالم لا يعتز بكبر رأسه وضخامة عمامته، فإن للقرع رأساً كبيراً لا عقل فيه .

ونظر الدرويش إلى القاضى الذى نهره فقال :

— لا ترفعن رأسك عالياً لأنك لبست عمامة كبيرة ، وتحليت بلحية طويلة . العمامة من قطن ، اللحية كالحشيش ينبت فى الأرض .

وليكن قدرك بقدر مالك من فضل ، ولا تكونن كزحل اتخذ بين الكواكب مكانا عالياً ، ولكنه نحس يؤذى الناس .

ألم تعرف قصب الحصير ، تراه طويلا فإذا ذقته لم تجد سكراً فيه ؟

ياصاحبى : إنى لا أراك من ذوى الفضل لأن مائة عبد يسيرون من ورائك ، إنما الفضل بالعلم والخلق الكريم .

من روائع تراثنا القديم :

الصوفية هم أهل القرآن

ورجال العمل به ، والفهم له

للمؤرخ الصوفى العلامة السراج الطوسى

قال الشيخ رحمه الله : قال الله عز وجل : « هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات » وقال : « ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين » وقال : « يس والقرآن الحكيم » وقال « حكمة بالغة » .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « القرآن حبل الله المتين ، لا تنقضى عجائبه ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، من قال به صدق ، ومن عمل به رشد ، ومن حكم به عدل ، ومن اعتصم به هدى »

وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، أنه قال : « من اراد العلم فليتل القرآن ، فإن فيه علم الأولين والآخرين وقد قال الله تعالى : « الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب »

فعلم أهل العلم بهذا الخطاب أن فى كتاب الله الذى أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم ، وهو القرآن الذى لا شك فيه لأحد من المؤمنين أنه من عند الله ، أن فيه هدى وبيانا لهم فى جميع ما أشكل عليهم من أحكام الدين ، بعد إيمانهم بالغيب ، وهو التصديق بما أخبرهم الله به عما غاب عن أعينهم .

ثم قال فى آية أخرى : ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين »

فأفادت هذه الآية لأهل الفهم من أهل العلم ، بعد إيمانهم بالغيب أيضا ، أن تحت كل حرف من كتاب الله تعالى كثيراً من الفهم مذخورا لأهله على مقدار ما قسم لهم من ذلك ، واستدلوا على ذلك بآيات من القرآن ، مثل قوله عز وجل : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » وقوله : « وكل شىء احصيناه فى إمام مبين » وقوله : « وإن من شىء

إلا عندنا خزائنه ، وما ننزله إلا بقدر معلوم » .

وقالوا فى معنى قوله عز وجل : « من شيء » إن معناه : من شيء من علم الدين ، وعلم الأحوال ، التى بين الخلق وبين الله تعالى وغير ذلك .

وقال عز وجل فى آيه أخرى : « إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » يعنى بذلك إلى الذى هو أصوب .

فعلم أهل الفهم من أهل العلم أن لا سبيل إلى التعلق بالأصوب مما يهدى إليه القرآن ، إلا بالتدبر والتفكر والتيقظ والتذكر وحضور القلب عند تلاوته وعلموا ذلك ايضا بقوله : « كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته ليتذكر أولو الألباب » .

ثم استفاد أهل الفهم من هذه الآية ايضا ، أن التدبر والتفكر والتذكر ، لا وصول إليه إلا بحضور القلب ، لقول الله عز وجل : « إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » يعنى حاضر القلب .

ثم لم يترك على ذلك حتى ذكر القلب فى آية أخرى فقال : « يوم لا ينفع مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم » .

ثم لم يترك على ذلك حتى أقام إماما للخلق فى القلب السليم ، فقال عز وجل « وإن من شيعته لإبراهيم إذ جاء ربه بقلب سليم » قال أهل الفهم : القلب السليم الذى ليس فيه غير الله عز وجل

وقال سهل بن عبد الله ، رحمه الله : « لو أعطى العبد لكل حرف من القرآن ألف فهم لما بلغ نهاية ما جعل الله تعالى فى آية من كتاب الله تعالى من الفهم ، لأنه كلام الله تعالى ، وكلامه صفته » .

وكما أنه ليس لله نهاية ، فكذلك لا نهاية لفهم كلامه ، وإنما يفهمون على مقدار مايفتح الله تعالى على قلوب أو لبائه من فهم كلامه ، وكلام الله غير مخلوق فلا تبلغ إلى نهاية الفهم فيه فهوم الخلق لأنها محدثة مخلوقة .

وقد ذكر الله تعالى الهداية فى القرآن بقوله : « هدى للمتقين » قال الشيخ رحمه الله : وقد ذكر الله تعالى وصف جميع أرباب القلوب وأهل الحقائق : من المريدين ، والعارفين ، والمتحققين والواجدين ، وأهل المجاهدات والرياضات ، والمتقربين إليه بأنواع الطاعات ، ظاهرا وباطنا ، كما فى كتابه ، وهو قوله عز وجل ، فيما يصف به

ملائكته : « أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب » وقال للمؤمنين : « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة » .

فكان فى هذه الآية شرح وبيان فى صفة الذين يؤمنون بالغيب بابتغاء الوسيلة .

ثم ذكر الذين يسارع لهم فى الخيرات ووصفهم فقال : « الذين هم من خشية ربهم مشفقون » فوصفهم بالاشفاق من الخشية والخشية والاشفاق اسمان باطنان وهما من أعمال القلب ، فالخشية سر فى القلب خفى . والأشفاق من الخشية أخفى من الخشية .

ثم بعد ذلك ، المرتبة الشريفة ، والحال الرفيعة التى وصفهم الله تعالى بها من الخشية والاشفاق وغير ذلك فقال : « والذين هم بآيات ربهم يؤمنون » وكانو قبل الخشية والأشفاق مؤمنين بآيات الله ، فعلم أنه أراد بذلك زيادة الإيمان ، ألا ترى أنه يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإيمان بعد الرسالة والنبوة ، وذلك قوله عز وخل « فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته » .

فاستنبط أهل الفهم واستفادوا من هذه الآية أن زيادة الإيمان لانهاية لها ؛ وأن جميع ماوصل إليه أهل الحقائق من بدايتهم أن ذلك من حقائق الإيمان وزيادته وبراهينه وأنواره ؛ وأن لا نهاية لذلك .

ثم قال عز وجل : « والذين هم بربهم لايشركون » فذكر أنهم لايشركون بربهم بعدما وصفهم بالخشية ، والإشفاق والإيمان .

فاستفاد أهل الفهم ايضا من ذلك أنه من الشرك الخفى الذى يعارض القلوب من رؤية الطاعات وطلب الاعواض بعد ماشهد شاهد صريح بالايمان أن لاضار ولا نافع ، ولا معطى ولا مانع إلا الله .

فعند ذلك شمروا وجدوا وتضرعوا إلى الله تعالى وطلبوا منه الخلاص لقلوبهم بصدق الاخلاص فى الاخلاص ، وعلموا أنهم على قدر إخلاصهم فى إيمانهم ينظرون إلى دقائق شركهم ورياءهم الذى هو أخفى من دبيب النمل على الحجر الأسود فى الليلة الظلماء .

تعريفات للتصوف

- سئل الجنيد عن التصوف فقال : « أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة » .
- وسئل رويم بن أحمد عن التصوف فقال : « استرسال النفس مع الله تعالى على مايريده » .
- وسئل — سمنون — عن التصوف فقال : « أن لا تملك شيئا ولا يملكك شيء » .
- وسئل أبو محمد الجريرى عن التصوف فقال : « الدخول فى كل خلق سنى ، والخروج من كل خلق دنى » .
- وسئل عمر بن عثمان المكى عن التصوف فقال : أن يكون العبد فى كل وقت بما هو أولى للوقت » .
- وسئل على بن عبد الرحيم القناد عن التصوف فقال : « نشر متام واتصال بدوام » .
- وسئل ذو النون المصرى عن الصوفى فقال : « هو الذى لا يتعبه طلب ، ولا يزعجه سلب : هم قوم آثروا الله تعالى على كل شيء ، فآثرهم الله على كل شيء » .
- وسئل سهل بن عبد الله التسترى عن الصوفى فقال : « من إذا استقبله حالان أو خلقان حسنان فيكون مع الأحسن والأعلى » .
- وقيل لعبد الواحد بن زيد : من الصوفية عندك ؟ فقال : القائمون بعقولهم على همومهم والعاكفون عليها بقلوبهم ، والمعتصمون بسيدهم من شر نفوسهم ، هم الصوفية » .

سر إيمانى بالله

للدكتور جمال الدين الفندى

الأستاذ بكلية العلوم — جامعة القاهرة

إن من ينظر إلى العالم يجد هناك من الابداع والاتقان واستمرار الحياة بحيث لا يمكن أن يكون ذلك عبثاً ، ومحافظة على هذا النظام ، وهذه القوة لابد أن يسلم بها العلم .

ونفس القوانين الطبيعية الحرارية ، ولابد أن يكون من ورائه قوة منظمة تثبت أن الكون وجد فى لحظة معينة أى الكون له ابتداء ، أى غير ازلى ، أى أنه لا نهائى فى القدم ، وله لحظة معينة ابتـــدأ فيها ، وقد تقدر بنحو ٤ آلاف مليون سنة تقريباً ، فإذ الابد أن الكون وجد. هذا الشيء الذى وجد ، إما وجد من تلقاء نفسه ، وإما أوجدته قوة ، أو أوجده خالق ، ولا يمكن افتراض أنه وجد من نفسه ، لأن هذا كلام فارغ .

وإذن فهذا العالم لابد أن يكون قد اوجده شيء ، فإذا افترضنا أن هذا الشيء من نفس نوع الكون ، فيكون هـــذا نوعا من العبث والتخريف .

ويسلمنا هذا القول إلى نفس المشكلة التى نرغب فى حلها ، فلابد أن تكون تلك القوة التى أوجدت العالم تختلف عنه فى كل شيء ، وهـــذا هو الحل الوحيد ، فإذا كان الكون مخلوقا فهو خالق ، وإذا كان الكون مادياً فهو غير مادى ، وهذه القوة التى أوجدت الكون هى الله تعالى .

وليس من شك فى أن قانون الجاذبية والديناميكية الحرارية والخلايا والنظام والتناسل وغـــير ذلك من القوانين والقواعد والنظم التى يلاحظها الإنسان ناطقة بقدرة الله تعالى ، والواقع أن الكون ، كما أراه كعالم طبيعى ، من أرادة الله ، وليس هو الله ، أو شعاع من نور الله ، والكون يعج بالكائنات وهناك من المخلوقات ما لا حصر لهـــا وما نعرف وما لا نعرف .

وهذا كله يشهد على قدرة القادر والقرآن معجزة على وجود الله تعالى ، وإذا كنت أريد أن اتجاهل كل هذا ، فأمامى أحد الرسل وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقد جاء بكتاب معجز وهو القرآن الكريم ، ولمست أنا اعجاز القرآن العلمى ، فآمنت بمحمد صلوات الله عليه ، ومحمد عليه السلام بشر مثلى مادة ، ولكنه يقول : إن هناك إلهاً من وراء كل هذا ، فأنا اؤمن بالله أيضاً عن طريق محمد عليه السلام .

أما الشخص الذى يريد أن يرى الله ويلمسه فأنا اطالبه بأن يطلب الملكة مارى ملكة انجلترا السابقة ويلمسها ؟ وهذا غير مقدور ، إنما كل ما فى الأمر انه سيكتفى بصورة لها ولن يستطيع أن يراها وجها لوجه أو يلمسها بيديه .. هذا مع الفارق العظيم بأن هذه ملكة انجلترا ، وهذا إله الكون جل وعلا .

فالله سبحانه وتعالى ، لا يمكن أن يرى بالعين المجردة ، لأنه اسمى من أن يظهر أمام الناس ، بكل ما فيهم من شرور وآثام ، ولكن الشخص الذى يؤمن إيماناً تاما ، يستطيع أن يراه بقلبه ، وأن يلمسه بقلبه أيضاً .

وجدير بالذكر أن العلم الحديث ينصب على دراسة خصائص الأشياء والاستفادة منها ، فالعلم الحديث يستغل الكهرباء فى توليد حرارة ومحركات ، وفى أعمال الأنارة والعلاج بالكهرباء ولكنه لا يستطيع أن يفسر إلى الآن ما الكهرباء ! ؟ بقدر ما نجح فى الاستفادة منها .

العلم الحديث عجز عن فهم كنه الكهرباء ، وكذلك الضوء والحرارة وأشعة اكس وما إلى ذلك .

حقا لقد عرف العلم كل هذه الأمور فى نظريات مختلفة متنوعة ، ولكنها لا تعطيك الحقيقة ، بل بعضها يتضارب مع البعض الآخر ، لأن وظيفة العلم الاستفادة من خصائص الأشياء ، ولا يبحث كيف وجدت هذه الأشياء ؟ وما ماهيتها ؟ وماحقيقتها ؟ ومثل هذا العلم لايوصلك إلى ما وراء الطبيعة .

ولكننا أثناء دراسة الأشياء نلمس من الابداع والاتقان ما يجعلنا نجزم بأن وراء ذلك خالقاً مدبراً .

وهذا هو سر إيمانى بالله تعالى .

الطرق الصوفية

مدرسة حقيقية للتربية

للدكتور احمد فؤاد الأهوانى

الأستاذ بجامعة القاهرة

منذ أن ظهرت الصوفية كنظام، وهى تعتمد على تربية المسلمين تربية خاصة تلائم مذهب التصوف، حتى يمكن أن نقول إن التصوف معناه الفنى الدقيق، إنما هو نظام فى التربية، وهذا النظام يقوم على الصلة بين الشيخ ومريديه، وقد تختلف الأسماء، فنسمى قطبا وليا وغير ذلك، ويسمى المريد طالبا، أو مرتاضا، على أننا لم نجد منذ نشأ التصوف بمعناه المعروف، إلا جماعات، تجمعها الصلة بين المريدين والشيخ، يأخذون عليه العهد، ويبصرهم بالطريق إلى الله، حتى يمكن أن نجد بعض المذاهب الصوفية قامت دون أن يشترط فيها هذه الصلة الوثيقة بين الشيخ والمريدين، مثل صوفية ابن سينا فله مذهب فى آخر حياته بسطه فى كتابه — الاشارات — يتحدث فيه عن التصوف النظرى، وكيف يستطيع الإنسان أن يصل إلى معرفة الله، بالذوق لا بالعقل، وبالمشاهدة والمعاينة، لا بالأدلة والبراهين، ولكننا لا نعد ابن سينا من جملة الصوفية.

بل الصوفية طريق عملى، ونظام فى الحياة، وهو إلى أن يكون جماعيا أدنى من أن يكون فرديا.

وعلى الجملة فالتصوف بمعناه الإصطلاحى الذى انتهى إليه ابتداء من القرن الخامس تقريبا، أصبح طريقة جماعية أو مدرسية، ومن هنا تعددت الطرق الصوفية المختلفة بحسب تعدد المشايخ والأقطاب.

ومن هذا الوجه، يعد التصوف

مدرسة حقيقية بمعنى الكلمة للتربية الإسلامية .

وقد تقنع بعض الطرق ، بتعليم القرآن والأحاديث والآداب الشرعية ووجوب التزامها ، والانقطاع للعبادة من صلاة وصوم ، كلها تؤدى إلى تصفية النفس وتهذيبها .

وقد تزيد هذه الشروط فى بعض الطرق فتصحبها الأذكار ، وقد تصحب الأذكار بالأناشيد ، وقد ترتل الأناشيد مع الموسيقى ، مما لا نريد أن نتعرض له بالتفصيل ، أى أن لكل طريقة ، أو لكل مدرسة مذهبها فى تربية المريدين ، وفى رياضتهم ، وفى تأديبهم حتى ينقطعوا إلى ذكر الله ، ويصلوا إلى معرفته بالأسلوب الصوفى ، وهو الشعور القلبى بوجود الله .

وقد أدت الطرق الصوفية رسالة عظيمة جداً خلال التاريخ فى نشر الإسلام ، وفى تربية المسلمين تربية تزيدهم قربا من الله .

وما دمنا قد اعتبرنا التصوف نظاما فى التربية ، فلا جرم أن تؤدى هذه التربية إلى إصلاح نفوس المريدين بوجه عام من الناحية النفسية والأخلاقية عن طريق تلك الصلة الوثيقة ، بين الشيخ والمريد .

لأن جوهر العلاج النفسى إنما يقوم على الصلة بين المريض والطبيب النفسانى ، صلة تؤدى إلى أن يكشف المريض نفسه بكل ما فيها للطبيب ، وهذا الانكشاف ، وهذا التحليل النفسى هو فى ذاته علاج للمريض ، لأن المرض النفسى نتيجة كبت المريض لأمور فى باطن نفسه ، لا يستطيع أن يظهرها سواء أكانت علتها مخاوف قديمة ، أو أسباب نفسية ، واتصال المريد بالشيخ ، بحيث يلقى إليه زمامه ويكشف له حالة يجعله يفضى إليه بكل ما يخطر بباله ، وما يكمن فى جوانح نفسه ، وعندئذ ، أى بعد أن يكشف نفسه يستقيم أمره ، من الناحية النفسية وكذلك سيستقيم أمره من الناحية الأخلاقية لأن علة العلل فى تدهور الأخلاق ، والسبب الرئيسى فى الرذائل هو الكذب والنفاق ، أى محاولة اخفاء النوايا ، والظهور بخلاف مايبطن المرء .

والصدق رأس جميع الفضائل الأخلاقية ، وأول باب من أبواب الصدق أن يصدق الأنسان مع نفسه ، ومعظم الرذائل ناشئة إما من الكذب

المتعمد ، وإما من الكذب غير المقصود بأن يتخيل المرء خلاف الحقائق .

فالذين يسيرون سيرة باطلة . إنما يجرون مع الأوهام ولو عادوا إلى الحقائق ، وواجهوا الدنيا بصراحة وبقوة ، ولم تفتنهم مظاهرها ، ومافيها من أموال وسلطان وزينة ، ما فكر أحد فى ارتكاب أى شر ، ولاقتراف أى رذيلة ،

ومادام الإنسان متصوفا بمعنى الكلمة ، زاهدا فى مباهج الدنيا الزائفة ، صابرا على حكم القضاء ، متحققا بالحقيقة ، لم تكن له حاجة بعد ذلك إلى سلوك طريق الرذيلة . وحسب التصوف هذا .

الدولة التى أنشأها شاعر صوفى

... إن الشاعر الصوفى العظيم « محمد إقبال » عندى أعظم من « نيتشه » لأنه طبق أحلامه على الواقع .

كان إقبال صوفيا ، ولكنه لم يعش فى صومعة ، كان يريد يقظة العالم الإسلامى فحقق أحلامه وخرجت دولة الباكستان إلى الوجود حلم هذا الشاعر العظيم :

عباس محمود العقاد

التصوف ومحبة الله

للأستاذ حسنه كامل الملطاوى

وكيل وزارة الخزانة

جاء فى الرسالة القشيرية ما خلاصته :

المحبة حالة شريفة شهد بها الله تعالى وأخبر عن محبته للعبد . فالله سبحانه يوصف بأنه يحب العبد والعبد يوصف أنه يحب الله جل وعلا .

وإرادة الله تعالى لأن يوصل إلى العبد الثواب والأنعام تسمى رحمة ، وارادته تعالى لأن يخصه بالقربة والأحوال العلية تسمى محبة .

وارادته سبحانه صفة واحدة وبحسب متعلقاتها تختلف أسماؤها ، فإذا تعلقت بالعقوبة تسمى غضبا ، وإذا تعلقت بعموم النعم تسمى رحمة ، وإذا تعلقت بخصوصها تسمى محبة ، وعلى هذا فالرحمة خاص من الإرادة والمحبة أخص من الرحمة.

أما محبة العبد لله تعالى ، فحالة يجدها من قلبه تلطف عن العبادة ، وتحمله هذه الحالة على تعظيمه تعالى وإيثار رضاه وقلة الصبر عنه والاهتياج إليه وعدم القرار من دونه ووجود الاستئناس بدوام ذكره له بقلبه .

بعض ما عبر به الصوفية عن المحبة :

عبر الصوفية عن المحبة بحسب ما وقع لكل منهم ، وقد تخيرت لكم بعض ما قالوه فيها :

قال قائل منهم :

المحبة هى الميل الدائم بالقلب الهائم .

وقال أبو اليزيد البسطامى :

هى استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك .

وقال أبو على الروذبارى :

المحبة الموافقة .

وقال أبو عبد الله القرشى :

حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت فلا يبقى لك منك شىء .

وقال الشبلى :

سميت المحبة محبة لأنها تمحو من القلب ما سوى المحبوب .

وقال سمنون :

ذهب المحبون لله تعالى بشرف الدنيا والآخرة لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال المرء مع من أحب فهم مع الله تعالى .

وقال يحيى بن معاذ :

ليس بصادق من أدعى محبته ولم يحفظ حدوده .

وقال بندار بن الحسين :

رؤى مجنون بنى عامر فى المنام فقيل له ما فعل الله تعالى بك ، فقال غفرلى وجعلنى حجة على المحبين .

وقال الحارث المحاسبى :

المحبة ميلك إلى الشىء بكليتك ثم ايثارك له على نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك له سرا وجهرا ثم علمك بتقصيرك فى حبه .

وقد كتب يحيى بن معاذ إلى أبى يزيد : سكرت من كثرة ما شربت من كأس محبته ، فكتب إليه أبو يزيد : غيرك شرب بحور السموات والأرض وما روى بعد ولسانه خارج ويقول هل من مزيد .

وجاء فى أقوال أستاذى الملهم العارف بالله الشيخ على عقل رضى الله عنه (توفى سنة ١٩٤٨) ما يقرب لكم فهم ما يقوله أبو يزيد :

أنا لو أشرب البحار جميعا ... لم أزل فى محبتى ظمآنا

لست أروى إلا بلقياك يارب ... فهذا اللقاء أسمى رجانا

وقال أبو بكر الكتانى :

جرت مسألة فى المحبة بمكة أيام الموسم فتكلم الشيوخ فيها وكان الجنيد أصغرهما سنا ، فقالوا له هات ما عندك ياعراقى ، فأطرق رأسه ودمعت عيناه ثم

قال : عبد ذاهب عن نفسه ، متصل بذكر ربه ، قائم بأداء حقوقه ، ناظر إليه بقلبه ، أحرق قلبه أنوار هويته ، وصفا شربه من كأس وده ، وانكشف له الجبار من أستار غيبه ، فإن تكلم فبالله ، وان نطق فعن الله ، وان تحرك فبأمر الله ، وان سكن فمع الله ، فهو بالله ولله ومع الله .

فبكى الشيوخ وقالوا ما على هذا مزيد جبرك الله تعالى يا تاج العارفين .

وحكى عن أبى سعيد الخراز أنه قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام ، فقلت يارسول الله أعزرنى فإن محبة الله تعالى شغلتنى عن محبتك ، فقال يا مبارك من أحب الله تعالى فقد أحبنى .

وقالت رابعة العدوية فى مناجاتها : الهى أتحرق بالنار قلبا يحبك ؟ فهتف بها هاتف ، ما كنا نفعل هكذا فلا تظنى بنا ظن السوء .

الحب مزاق والتعاريف دالة عليه :

لعل التعاريف المتقدمة تكون ألقت لكم شعاعا على الحب الآلهى الذى يسمو فى الواقع عن التكييف والتعريف ولا يعرف على حقيقته إلا بالمذاق .

ويعجبنى ما يقوله فى هذه المناسبة الأخ الأستاذ طه عبد الباقى سرور الكاتب الصوفى المعروف فى كتابه « رابعة العدوية » .

« والتصوف حقائق ورقائق ودقائق مستقرها القلب ومستودعها الروح ومبعثها الحب وتاجها فيوض من الله تتوالى ، وجماع ما يقال فى مقاماته وأحواله أنها يقظة فى الوجدان والمشاعر والحس ، يقظة فوارة بالعاطفة جياشة بالحركة متوثبة بالتطلع والتأمل والتفكر فى آفات القدرة وآيات العظمة وسمات الرحمة .

« وانفساح فى القلب حتى يرى مكاشفة ببصيرته ما يبصر الناس وما لا يبصرون من مكنون عجائب الله وآياته ومعارفه والهاماته واتساع فى الروح وقوة حتى تهيمن وتسود وتشرق وتزكو ، والروح من أمر الله ونفخة من روحه .

« وحسبنا هذا فالكلام هنا أدق من شعرة الصراط وأرق من نسيج الزهر لا تحتمله الآذان ولا تصبر عليه العقول وانما نضع فوق الأبصار والآذان والعقول الآية الربانية الناطقة بمقامات المحبين :

« لهم ما يشاءون عند ربهم » .

تفاوت الناس فى المحبة :

ويتفاوت الناس فى المحبة بتفاوت ايمانهم ، فكلما زادت معرفتهم بالله زادت محبتهم وإليكم الأدلة الشاهدة على ذلك من الكتاب والسنة .

يقول الله تعالى :

« ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله . . . » .

ويقول أيضا :

« يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم » ، وقد ربت حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم على كتف سلمان الفارسى رضى الله عنه حين نزلت هذه الآية وقال هذا وذووه ، ونظرا لأن الصحابة رضوان الله عليهم لم يرتدوا عن دينهم فقد ثبتت محبة الله لهم ومحبتهم له تعالى .

« قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم » .

وعلى قدر حرص المؤمن على اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون درجة محبته لله تعالى .

ويقول :

« ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير » . وتفيد هذه الآية أن أعلى الناس درجة فى المحبة هم السابقون بالخيرات باذن الله .

وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه الا لله وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار » متفق عليه .

كيف يتدرج المؤمن فى المحبة :

أساس المحبة الايمان بالله ، والايمان علم وعمل يزيد وينقص ، ولايزيد الايمان الا بالأنس بالله ، ولا يتأتى هذا الأنس الا بقطع الشواغل عنه سبحانه وتعالى . فاذا انقطعت الشواغل خلا القلب بربه وذاق المؤمن لذة المناجاة واطمأن بالله (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) .

ومن ذلك تعلمون أن المؤمن يكون بين الناس ولكنه يختلف عنهم فى مذاقه وأنسه ، وهذه حالة روحية سنية تتأتى للمؤمن بعد مجاهدات طويلة لا يدركها إلا المحبون .

نالوا مرادهموا بحب حبيبهم ... وتمتعوا بدنوه ووصاله
وعليهم ظهر الجمال لأنهم ... بقلوبهم نظروا الحسن جماله
وبه قد اشتغلوا ويا طوبى لمن ... قد أصبح المحبوب من اشغاله

وقد سئل بعض الحكماء ما الذى قطع الخلق عن محبة الخالق بعد أن عرفوه سبحانه ؟ فقال : لم يقطع الخلق عن محبته عز وجل الا حب الدنيا وزينتها لأنها محل الذنوب والمعاصى ، والعاقل من رمى بالدنيا عن قلبه وتاب إلى الله من ذنبه واقبل على ما يقربه من حبه اشتغالا بكثرة ذكره .

وإذا خلصت محبة المؤمن لربه نور الله باطنه وكان الله منه ملء السمع والبصر ، وفى هذا المقام يقول أخى فى الله الصوفى المعاصر الأستاذ أحمد عبدالمنعم عبد السلام الحلوانى فى مقدمة مؤلفه « السمو الروحى فى الأدب الصوفى » :

« هو الذى نور باطن المؤمنين بهديه وشعشع أرواحهم بحبه وسر بلهم بسر بال جلاله وأسكرهم من خمر جماله وأفاض عليهم من فيض أنسه وأطعمهم من لذيذ وصاله فغابت نفوسهم عن المحسوسات واستظلت بعرش الغيب فظلت فى سر المكنونات فلم يأنسوا الا بنوره سبحانه وتعالى ولم يروا حركة ولا سكونا فى الأكوان كلها دقت أو جلت ظهرت أو خفيت الا من تأثير ارادته فوهبوا أنفسهم وأنفاسهم لنور معرفته ورأوا سر قيموميته ساريا فى جسد الأكوان فنظروا إلى نورها

فغابوا عن الحسن إلى حقيقة المشاهدة وفناء القرب، أولئك الذين اصطفاهم الله لحضرته وأصطنعهم لذاته وسيرهم فى الخلق على عينه سير المحبة والعناية والاختصاص وحفظ قلوبهم عن الأغيار وهيا كل أرواحهم من الأشرار وكان منهم مل السمع والبصر».

وأنتم ترون مما تقدم أن المحبة تأخذ بيد المؤمن وتتدرج به صعدا حتى يصل الى مقام المقربين الذين اصطفاهم الله لحضرته واصطنعهم لذاته ويالها من سعادة أبدية.

فاذا وصل المحب الى هذا المقام الكريم لم يرج جنة ولم يخف نارا وانما يرجو رب الجنة ويخاف رب النار ولا يسكن أنينه وحنينه حتى يلقى الله راضيا مرضيا.

لذلك لما قيل لرابعة العدوية أم المحبين رضى الله عنها، ما تقولين فى الجنة قالت الجار ثم الدار.

وقد قالت حين سألها سفيان الثورى ما حقيقة ايمانك، قالت ما عبدته خوفا من ناره ولا حبا فى جنته فأكون كالأجير السوء بل عبدته حبا له وشوقا اليه وأنشدت:

أحبك حبين حب الهوى ... وحبا لأنك أهل لذا كا
فأما الذى هو حب الهوى ... فشغلى بذكرك عمن سوا كا
وأما الذى أنت أهل له ... فكشفك لى الحجب حتى أرا كا
فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى ... ولكن لك الحمد فى ذا وذا كا

ويفسر الإمام الغزالى ارادتها الهوى بحب الله لاحسانه اليها وانعامه عليها بحظوظ العاجلة، وحبه لما هو أهل له بالحب لجماله وجلاله الذى انكشف لها وهو أعلى الحبين وأقوهما.

علامة المحبة:

يقول الله تعالى مخاطبا حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم:

«قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم».

وقد وضع الله بهذه الآية الكريمة علامة الحب حتى لا تستتر على مؤمن يرجو محبة الله.

واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم بينت قاعدته الكبرى الآيه الكريمه :

« وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا »

أما فروع هذه القاعدة فقد رسمتها الشريعه الغراء التى قال فيها حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم « لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك » .

ولم تنل شريعة من الشرائع عناية فى تدوينها وضبطها كما نالت الشريعة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم . واننا لنحنى رؤوسنا اعجابا بهمة الأئمة المجتهدين وأصحاب السنه والمفسرين ، فقد فسروا لنا بعملهم الخالد فهم الدين وابتغوا بذلك وجه الله ولم يريدوا منا جزاء ولا شكورا .

روحانيه الاتباع :

وليس المقصود بالاتباع أن يكون اتباعا شكليا لا روح فيه فعبادة الشكل عبادة آلية لا تؤتى ثمرها وإنما المراد أن يكون الاتباع صحيحاً فى شكله وتصاحبه روحانية صوفية أصلها ثابت وفرعها فى السماء .

ويقول عبقرى الشاعرية الصوفية جلال الدين الرومى فى توضيح الفرق بين المتمسك بالحروف والقشور والغائص إلى الروح والمعانى :

« هل قطفتم وردا من الواو والراء والدال » .

« أنتم تسمعون اسمه اذهبوا فابحثوا عن حقيقة المسمى » .

« لا تنظروا إلى القمر فى الماء بل إلى القمر فى السماء » .

« ان أردتم أن تترفعوا عن الأسماء والحروف » .

« تطهروا من جميع صفات النفوس » .

« حتى تروا وجودكم النورانى » .

« نعم ترون فى قلوبكم علم النبى » .

« دون كتاب أو معلم أو مرشد » .

حسن كامل الملطاوى

اليـــوجا الهنـدية
والتصوف الاسلامى

اصدرت الإدارة العامة للثقافة ، بوزارة الثقافة والإرشاد القومى ، كتاباً عن — فلسفة اليوجا — ترجمة الأستاذ عريان يوسف سعد ، وراجعه الأستاذ الدكتور محمد مصطفى حلمى .

والكتاب يلقى بالأضواء ، على الطريق الروحى العالمى المعطر بانفاس المتبتلين والمحبين .

ويقدم أروع المثل الأخلاقية الإنسانية ، ويأخذ بالروح وبالقلب وبالوجدان إلى جولات فى عالم النور والصفاء والبهاء ، عالم الإيمان ، عالم الكلمات الحية المشرقة الملهمة .

واليوجا الهندية قد تلتقى بالتصوف الإسلامى حيناً ، فى مثلها الاخلاقية ، وقد تلتقى به أحياناً فى رياضاته وسلوكه ، ولكنها ترتكز على فلسفة ، تدور حول تناسخ الأرواح ، وتعتمد على منهج يهتف بخلود بعض الأرواح المقدسة المتصرفة فى الحياة والكون .

وهذا وذاك لا يقره التصوف الإسلامى ، ولا يرضى عنه ، ولا ينبغى له .

إن المذاهب الروحية العالمية ، قد تتشابه فى الأخلاق والمثل والسلوك ، ولكن التصوف الإسلامى هو نسيج وحده بين المذاهب الروحية والعالمية . لأنه يستمد وجوده من كتاب ورسالة وقدوة نبوية .

ومن هنا كانت له خصائصه ومقوماته وحدوده وعقيدته ، وشخصيته الكاملة .

ومع هذا فنحن نرحب بكل كتاب يهتف بالأخلاق وينادى بالمثالية ، ويدعو إلى الإيمان ، ويبشر بالخير والحب والسلام للناس كافة .

إن الطريق المضاء ، هو طريق كل محب للروحانية والمثالية ، وعلى هذا الأساس نرحب بكتاب — فلسفة اليوجا — ونقدم منه نموذجا صالحاً رائعاً ، صور فيه الكاتب ما فى الزهد الصوفى من قوة ومن حيوية ومن إيجابية بناءة ، توحى بالثقة ، وتلهم القدرة على الكفاح والجهاد فى الحياة . . قال :

« . . يبدو للكثيرين أن الصوفى الزاهد ، صاحب خيالات لا يصلح لأعمال الحياة ، مجرد حالم ينسج أوهاما من خيوط الخيال . ولكن الذين نفذ بصرهم من السطحيات إلى لب الحقائق يتبين لهم أن الصوفى العامل رجل يركن إليه فى كل فرع من فروع الحياة ، إن مجرد زهده وعدم تعلقه يعطيه قوة يفتقر إليها الرجل العادى .

الصوفى لا يخاف فهو جسور متقدام لعلمه أن نجاحه وسعادته لا تتوقف على ملابسات بذاتها ، وهو واثق دائماً بأنه سيخرج من أية ظروف أو محنة أو شدة آمنا سالما ، إنه يشعر بأنه يرتكز على صخرة ثابتة ، وأن قوة سر الكون تظاهره وتشد أزره ، وهذا الشعور يكسبه قوة وشجاعة يفتقر إليهما الرجل الذى يحسب أن سعادته تتوقف على نجاحه فى عمل أو شىء ، إن نجح فيه كسب كل شىء ، وإن فشل كانت فى الفشل نهايته .

إن الصوفى يلقى نفسه فى تيار الحياة مندفعاً به ومعه ، نشوان باحساسه إنه جزء من الحياة لا يخشى على نفسه من زحمتها وتطاحنها ، لأنها منه ، وهو منها ، فلا يخشى أذاها ، إنه ينتقل فيها من جو إلى جو ، ومن وسط إلى وسط راضياً مطمئناً لأنه يعلم أن القوة التى تسير هذا الكون كله تسانده وتشد أزره ، فيعمل بكل قواه لأنه لا يدخر وسعاً ولا يحتفظ بشىء من طاقته لاتقاء شر ، أو دفع

مكروه ، ولذلك يكون إنتاجه أعظم من إنتاج غيره ، ممن يعملون وهم يتلفتون يمنة ويسرة يوجسون خيفة مما حولهم فلا يبذلون فى العمل إلا بعض طاقتهم أما سائرها فموزع مشتت يوزعه الشك ، ويشتته الخوف أو البغضاء والحقد » .

إن إنتاجه ، أعظم الانتاج أما نتيجة العمل — أما الأجر والمكافأة فأمر لا يعنيه كثيراً إنه يستطيع أن ينصرف إلى أى عمل آخر باذلا فيه ، كعهده ، كل جهد ، إنه يعمل فقط أما نوع العمل فلا يربطه به رابط من منفعة أو كسب .

والعامل من هذا الطراز لابد وأن يدر عليه عمله ما يكفيه حقاً مكتسبا له . إن من اتقنوا — فن السلوك — بالرغم من أعراضهم عن زخرف الدنيا ومظاهرها يعيشون فى سعة من الرزق تسد حاجتهم ، وتكفل راحتهم ، وطبيعى أن القليل يسد الحاجة ويكفل الراحة لهؤلاء الناس . . . لأن ذوقهم بسيط يرضون بالقليل الجيد ، إنهم يجذبون إليهم رزقهم فيأتيهم طوعا كما تجذب الشجرة مادة حياتها من الأرض والماء والهواء .

من رقائق الأدب الصوفى :

إذا ارتحل الكرام إليك يوما ... ليلتمسوك حالا بعد حال
فإن رحالنا حطت رضاء ... بحكمك عن حلول وارتحال
امحنا فى فنائك يا إلهى ... إليك مفوضين بلا اعتلال
فسسنا كيف شئت ولا تكلنا ... إلى تدبيرنا يا ذا المعالى

مع . . . .
ابراهيم بن أدهم

قال ابراهيم بن أدهم : كنت سائراً نحو بيت المقدس ، فلقيت سبعة رجال ، فسلمت عليهم ، وقلت افيدونا شيئاً ينفعنا الله تعالى به .

فقالوا : أنظر كل قاطع يقطعك عن الله فاقطعه عنك .

قلت : زيدونى يرحمكم الله ، فقالوا : لاترج غير الله تعالى ، ولاتخف أحداً سوى الله .

قلت زيدونى يرحمكم الله ، فقالوا : أنظر كل مايحبه الله تعالى فأحبه ، وكل ما يبغضه الله فابغضه .

قلت : زيدونى يرحمكم الله فقالوا : بالدعاء والتضرع والبكاء فى الخلوات والتواضع والخشوع والرحمة للمؤمنين والنصح لهم .

فقلت : زيدونى يرحمكم الله .

فقالوا : اللهم حل بيننا وبينه فقد شغلنا عنك ! ! !

قال ابراهيم بن أدهم : فنظرت فلم أرهم .

* * *

وروى عبد الجبار بن كليب ، قال : كنا مع ابراهيم بن أدهم فى سفر ، فعرض لنا الأسد ، فقال ابراهيم : قولوا :

اللهم احرسنا بعينك التى لا تنام ، واحفظنا بركنك الذى لا يرام ، وارحمنا بقدرتك علينا لا نهلك ، وأنت رجاؤنا يا الله ، يا الله ، يا الله .

قال : فولى الأسد عنا هارباً ! !

ثم قال : وأنا أدعو بهذا الدعاء عند كل أمر مخوف ، فما أرى إلا خيراً . . .

القرآن والعلوم الحديثة

للدكتور محمد وصفى

وأنزلنا من السماء ماء طهورا

١ — قوله تعالى « وأنزلنا من السماء ماء طهورا

قال تعالى « . . . وأنزلنا من السماء ماء طهورا (٢٥ : ٤٨) وما ذكر الله طهارة الماء فى هذا الموضع إلا ليذكرنا بوجوب المحافظة على هذه الطهارة خاصه فى الماء الذى نشرب منه حتى لا تتعرض أجسامنا لمختلف العلل والأمراض التى تؤدى إلى الضعف والهلاك .

وقد عد الله انزال الماء من السماء احد نعمه ومننه على البشر ، إذ خلق خاصية التبخر ليخلص الماء عند صعوده إلى السماء من مختلف الشوائب ومن الأملاح التى تجعله غير سائغ الشراب ، ثم ينزل إلينا نقيا طاهرا سائغا للشاربين « أفرأيتم الماء الذى تشربون . أأنتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون . لو نشاء جعلناه اجاجا فلولا تشكرون . (٥٦ : ٦٨ - ٧٠) .

٢ — الماء الآسن

ويؤيد قولنا أن الله إنما عنى طهارة ماء الشرب ما اشار إليه تعالى فى قوله عن الماء الآسن : مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن . . (٤٧ : ١٥) فالماء الآسن الراكد الواقف اشد تعرضا للتلوث بشتى الجراثيم ومختلف الطفيليات وبعد ذلك مستودعا غنيا بالمواد العضوية المتحللة وغيرها من المواد التى تساعد على انتشار العدوى وبيئة صالحة لحياة الجراثيم ونموها وتكاثرها .

(١) الماء من الناحية البكترولوجية

ولذلك كان الماء النقى من الناحية البكتريلوجية لا يحتوى إلا على مقدار تافه من المواد إلى درجة غاية فى الصغر لا تشجع على الابقاء على الجراثيم ونموها ، ولهذا كانت الأسس العامة التى تتخذ لفحص الماء والحكم على درجة صلاحيته للشرب تتلخص فى عد المجموع الكلى للبكتريا التى توجد فى عينة من الماء معروفة الحجم ، ويقدر عدد الباسلات الافرازية الموجودة فيها ، وفى احوال خاصة يبحث عن الكائنات الحية المسببة للمرض مثل باسلات التيفوس B. typhosus وجراثيم الكوليرا Vibrio cholerae والمكربات السبحية streptococci ومكروبات فلشى Cl. welchii وباسلات انتريتيدس B. enteritidis وباسلات القولون B. coli وغيرها .

وإن وجود باسلات القولون وجراثيم فلشى تعد من دلائل تلوث الماء بالمواد البرازية ، وتصل مثل هذه العدوى إلى الماء بالتغوط على حافته والاستنجاء منه باليد ، من حيث تصل إليه كذلك مكروبات البذور العنبية .

وباسلات الصديد الازرق B. pyoeya neus وباسلس القولون العادى B. coli communis والمعروف بأنه نوع من مرض يوجد فى الأمعاء والبراز ومواد المصابين بالكوليرا وفى الهواء والمواد المتعفنة ، وباسلس كولاى كنسنتريكس B. coli Concentricus وهو كذلك نوع ممرض يوجد فى القناة الهضمية فى المصابين بالحمى الصفراء وباسلس القولون الدسنطرى B. coli dysentericus الذى يوجد فى احوال الدسنطاريا وغيرها وغيرها وحسبك أن تعرف أن عدد ما يوجد فى الأمعاء الغليظة من جراثيم تخرج منها يوميا يبلغ ١٢٨٠٠٠ مليار من البكتريا .

(٢) الماء والعدوى بالحيوانات الأولية

ومن الحيوانات الأولية Protozoa التى قد تصل إلى الماء عن طريق مخلفات الإنسان من الاميبا ، والاميبا رتبة من الحيوانات الدقيقة بسيطة التركيب تتكون من قطيرة مفردة من البروتوبلازم غير منتظمة الشكل تحتوى على نواة ،

يبلغ قطرها نحو $\frac{1}{10}$ من البوصة ، هى منتشرة إنتشارا واسعا فى الطبيعة ؛ وتحيا حياة مستقلة فى الماء والمستنقعات والأمكنة الرطبة .

ومن أفراد هذه الرتبة من يصيب الإنسان بشربه من الماء الملوث بانتاميبا هستولوتيكا Entamaeba histolytica التى تحدث الدسنطاريا الأميبية ويمكن التمييز بينها وبين انتاميبا القولون coli بالبحث المكروسكوبى ان الأولى فى حالة تحوصلها يرى فيها نواة أو نواتان أو أربعة من النوى وأما الثانية فيرى فيها من النوى ثمانية .

وقد يكون الماء ملوثا بالجيارديا Gi ardia وهى من الحيوانات السوطية ذات الخلية الواحدة التى قد تكون السبب فى حدوث إسهال ذى عوارض خطيرة وقد يكون ملونا بالبلانتيديم كولاى Balantidium Goli التى قد تكون سببا فى حدوث أعراض دسنطارية ، وبلانتيديم القولون هذا طفلى فى الخنزير ويوجد كذلك فى أمعاء الإنسان .

ومن الحيوانات الأولية التى تلوث الماء كذلك الأبزديورا Isospora والكوكسيديا .

(٣) الماء من الناحية الهلمنثولجية :

ومع هذا فقد يصل إلى الماء الراكد مع افراز الناس بعض الديدان المعوية وبيضها مثل التريكوستر نجيلس Trichostrongyl us وثعابين البطن strongyloides وجميع أنواع الفلوك Flukes ما عدا فلوكى الرئيسية والمثانة ؛ وجميع أنواع الديدان الشريطية المعوية التى أهمها فى الإنسان تينيا ساجيناتا T. sagunta التى ثويها الوسيط البقر ، وتينيا سوليم التى ثويها الوسيط الخنزير وجميع أنواع الديدان الأسطوانية Round worms ماعدا الفلاريدى Filariodea

(٤) الماء وديدان الحشرات :

وقد يصل إلى الماء مع إفرازات الإنسان مختلف ديدان Larvae الحشرات ، كما أنه قد تصل إليه أنواع معينة من الأكارين Acarin والأكارينا رتبة تتدرج تحتها طفيليات دقيقة مثل عتة الجبن Cheese mites والقراد Ticks .

(٥) التبول فى الماء الراكد

وكثيرون قد تعودوا على التبول فى الماء الركد أو البطىء السير ثم يستنجون ويتوضأون منه أو يغتسلون ملوثينه بما قد تحمله أبوالهم من خلايا صديدية وكرات دموية حمراء وخلايا بشرية وغيرها من مختلف خلايا الجهاز البولى وبييض بعض الديدان مثل ديدان البلهارسيا التى تفتك بعدد كبير من الناس خاصة فلاحى مصر وذلك عن طريق دخول السركاريا اجسامهم خلال جلودهم سالكة سبيل الأوعية الليمفاويه والشعيرات الدموية السطحية . هذا بجانب ما يكسبه الماء من رائحة البول الكريهة ، وبجانب ما يصل إلى الماء من جراثيم ممرضة تخرج من بول المريض .

(٦) الماء والجيف

ومن المصائب العظمى ما جرى عليه بعض الناس من القاء جثث بعض الحيوانات النافقة فى مجارى المياة بدلا من دفنها فى التراب ، وفى ذلك ما فيه من الاخطاء الجسيمة والاضرار العظيمة على الصحة العامة وعلى حياة الإنسان .

٣ وثيابك فطهر

قال تعالى : وثيابك فطهر (٧٤ : ٤) وطبعى أن لا يكون تطهير الثياب بالماء الطاهر الذى قد يزيل ما قد يعلق بها ويشينها ويفقدها طهارتها ، وأن هذه الآية الكريمة تأمر بعدم تلويث الثياب بأى مادة أو شىء قذرا ومحتوى على اجسام منتنة أو جراثيم ممرضة ، أو ما شابه ذلك محافظة على نظافة الجسم وصيانته من كل ما قد يصيبه من أمراض أو أوبئة أو أى شىء آخر يضعف البدن أو يقلل من حيويته وجهده الذى يجب أن يبذله غير منقوص فى سبيل رقى الإنسانية ورفاهيتها وأن يبذله كذلك لتحقيق سعادته الخاصة فى الدنيا ولتعينه كذلك على تأدية ما كلفه به دينه للفوز بما وعده به الله من التمتع بالسعادة الحقيقية التامة فى الحياة الآخرة

فالثياب الغير نظيفة عامل قوى يساعد على نقل العدوى إلى البدن ووسط صالح لتكاثر كثير من اسباب العلل والأمراض ، وهى بجانب ذلك تنفر الناس من مرتديها وتدعوا إلى اشمئزاز منهم ، وفوق ذلك قد يقع صاحب الثياب القذرة

فى براسن امراض نفسية اجتماعية منشؤها اعراض الناس واحتقارهم للابسى مثل هذه الأردية .

٤ — وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به

قال تعالى . . . . وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به . . . (٨ : ١١)

وفى هذه الآية الكريمة يدعونا الله إلى استعمال الماء لتطهير اجسامنا وازالة ما قد يعلق بأبداننا من اوساخ خاصة بالنسبة لكثير من الناس قد تعرضهم اعمالهم ووظائفهم إلى التلوث بها ، وللتخلص من الأتربه التى تمتزج مع العرق فى حالات الاسفار البرية الطويلة ، وفى المناطق والاوقات التى يثير فيها الريح الغبار .

أوجب الله علينا تطهير اجسامنا بعد أن لفت انظارنا إلى طهارة الماء والزمنا بالمحافظة على تلك الطهارة للشرب ولتطهير ثيابنا والعمل على تنظيفها وغسلها .

٥ — الوضـــوء

قال تعالى : ياأيها الذين آمنو إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وارجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا . . . (٦ : ٥)

والوضوء من الناحية الطبية من اعظم الوسائل التى فرضها الإسلام فغسل الأطراف عدة مرات يوميا يضمن حفظها وسلامتها وطهارتها ، ويلفت فى الوقت نفسه النظر إلى الاعتناء بسائر سطح الجلد الذى يعد أقل تعرضا للغبار وما يعلق به من الأطراف .

ونرى أنه من المناسب فى هذا الموضع أن نعطى القارئ فكرة عامة عن تركيب الجلد ووظائفه حتى يتيسر له أن يدرك بسهولة الهدف الطبى السامى الذى شملته أوامر الدين بالنظافة والاغتسال والاعتناء بتكرار غسل الأطراف يوميا بالوضوء

(١) تركيب الجلد

يتكون الجلد من طبقتين هما الجلد الحقيقى والنسيج الليفى الذى تحته والجلد الحقيقى ينقسم إلى قسمين . القسم السطحى ويعرف بالبشرة والذى يليه ويسمى الأدمة ويتخللها الأوعية الدموية وأوعية نقل الدم الأبيض وأطراف الأعصاب شاملة هى وما يليها البصيلات الشعرية والغدد الدهنية وغدد العرق والأظافر

ويزيد عدد الغدد العرقية فى الجسم عن المليونين وهى أكثر ازدحاما فى الراحتين والأخمصين .

وتنقسم البشرة إلى أربعة طبقات هى من الظاهر إلى الباطن : (١) الطبقة القرنية وهى الطبقة السطحية الحامية للجلد ، وتتكون من عدة صفوف من الخلايا السطحية معظمها قشور قرنية فى السطح العلوى تظهر بوضوح تام فى الجلد المغطى للكعبين والراحتين ، ولها خاصية المقاومة للأحماض ومقاومة القلويات (٢) والطبقة تلى الطبقة القرنية ، وتتكون من خلايا شفافه مختلفة الشكل ذات نواه واحدة قد تكون منقسمة على نفسها وتظهر هذه الطبقة بوضع فوق الجلد المغطى لراحة اليدين وبطن القدم (٣) والطبقة الحبيبية تلى هذه الطبقة وهى عبارة عن أربعة صفوف من الخلايا الممتلئة بمادة شفافة زلالية التكوين (٤) وأما الطبقة الشوكية التى تليها فتعرف بالطبقة الجلدية المنتجة ولها سطح علوى قليل التعرج وسطح سفلى مندعم مع السطح العلوى للطبقة الحلمية التى تليها من الأدمة ، والطبقة الشوكية ذات خلايا عمودية فى القسم الاسفل وتتحول قليلا كلما قاربت السطح العلوى وتوجد شوكة لكل خلية ، ولذلك سميت هذه الطبقة بالشوكية ويوجد بين خلايا هذه الطبقة الياف لولبية خاصة .

وتقع الادمة تحت البشرة ، وتسمى الادمة الجلد الحقيق وتتكون من انسجة ليفية مرنة ، ويتراوح سمكها بين ٣ ملليمترات فوق الغلفة والاجفان مثلا إلى ٢,٤ سنتيمترا فى راحة الكف ومؤخر القدم ويمكن تقسيمها إلى قسمين : (١) الطبقة العليا أو الحلمية التى تقع تحت البشرة ، (٢) والطبقة السفلى أو الشبكية وتكثر الخلايا الدهنية فى هذه الطبقة ويقل عددها كلما صعدنا إلى الطبقة العليا ، وتستعاض بألياف عضلية واوعية دموية واوعية لنقل الدم الابيض واطراف اعصاب ، كما يتخللها كمية عظيمة من الألياف المحاطة بالغدد الدهنية والبصيلات الشعرية والاوعية الدمويه ، وقد قدر عدد الحلميات فى كل ملليمتر مربع من سطح الجلد بمائة أى أنه يوجد فى جميع الجسم نحو ١٥٠ مليونا من الحليمات .

وأما النسيج الليفى فيقع تحت الادمية ، ويختلف سمكه بأختلاف المواضع المختلفة فى الجسم ، فيكثر الدهن فى المواضع المنخفضة ويقل فى غيرها بحيث يكون السطح الخارجى للجسم فى مستوى واحد متوازن .

يتبع

اضواء على الطريق

للسيد الأستاذ محمد عبد الشافى

المخلصون من أهل الله تعالى قوم استخلصهم الحق لنفسه فلم يجعل لغيره عليهم سبيلا . وقد مدح الحق تبارك وتعالى نبيه يوسف عليه السلام بقوله (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء أنه من عبادنا المخلصين) ولقد يئس ابليس من هؤلاء القوم رضوان الله عليهم معترفا بعجزه أن يكون له عليهم سلطانا فقال لربه جل وعلا (ربى بما اغويتنى لأزينن لهم فى الأرض ولأغوينهم اجمعين إلا عبادك منهم المخلصين . قال هذا صراط على مستقيم ان عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين) فالمخلص من اقبل على الله بكليته . فلم يشغله عن الله سواه. ولا يتم هذا الوصف الكريم لعبد إلا إذا تم تخليصه من ثلاثة أمور الأمر الاول تخليص اعماله من شوائب العلل . اخذا بقول الله تعالى (واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا) والتبتل تفعل فى البتل وهو القطع ولذا سميت السيدة مريم بالبتول لانقطاعها عن الشبيه والنظير ويرجع معنى التبتل فى هذا المقام إلى التجريد المحض مع ملاحظة العوض فلا يكون المرء كالاجير اذا لم يأخذ الأجرة لم يعمل. ولا يكون كالعبد السوء الذى إذا لم يضرب لم يعمل بل يقوم بخدمة مولاه جل وعلا لمقتضى العبودية المحضة طموحا واختيارا لا كرها ولا قهراً . إذ أن الحق تبارك وتعالى يقول (له دعوة الحق) أى له دعوة الحق لذاته وصفاته وإن لم يوجب لداعيه بها ثوابا ولا عقابا . فهو سبحانه مستحق العبادة لذاته فملاحظة العوض شائبة تقدح فى كمال عبودية المرء لربه ولقد عالج رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآفة فقال « لن يدخل أحدكم الجنة بعمله . قيل ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته » ولا شك أن فى فهم أن العمل من حيث هو لا يدخل المرء الجنة التى هى محل

الثواب انقطعت عنه ملاحظة العوض عليه وحينئذ يقوم بالعبودية لله متكلا عليه غائباً به عن كل شئ . لا يرجوه إلا له ولا يخشاه إلا لجلاله وبذلك تكون الدعوة الالهية الحق لله وحده . ومتى تحقق بذلك علماً وذوقاً وحالا خلصت أعماله من آفات العلل ومن لم يفهم ذلك فقد عز عليه الأمر والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

أما الأمر الثانى : فهو تخليص القلب من آفات المقامات . وآفاتها ثلاثة :

الآفة الأولى : التطلع إليها . الآفة الثانية . الوقوف معها . الآفة الثالثة : شهود المرء فى نفسه بأنه من أهلها فيحجب بالرؤية عن كمال التحقق بها . أما الآفة الأولى وهى التطلع إليها فذلك من الخطوط النفسية الصادرة عن الجهالة القائمة بها لأنه لا غاية للعبد يقف معها دون معرفة سيده ولا سبيل لذلك على وجه الإحاطة أصلا . هذا مع دوام ترقى العبد فى الكمالات الإلهية فى الدنيا والآخرة . وسر ذلك هو أن الكمالات الإلهية لانهاية لها وكل أمر لا نهاية له لا ينتهى إليه بحال من الأحوال ولئن انتهت أعمار العارفين فى الترقى فى هذه الكمالات فهم فى الحقيقة واقفون فى أول قدم فى معرفة الله . ولهم فى ذلك خير أسوة بإمام المرسلين ونبراس العارفين سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم القائل : سبحانك ما عبدناك حق عبادتك . سبحانك ما عرفناك حق معرفتك . سبحانك لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك . وفى علم ذلك انقطع عنه التطلع إلى مقام من المقامات يكون مع الله فيه . إذ أن الله سبحانه وتعالى مع كل شئ ونسبة العلو والدنو إليه على حد سواء فهو سبحانه وتعالى مع خلقه فى درجاتهم ودركاتهم بحسب ما يليق بجلاله وأعلا المقامات من حيث معيته وإن اختلفت صفاتها كأدناها . ومع ذلك كله فحركة المحو والإثبات دائمة التجلى ولا أمان لمكر الله فالعبد الحقيقى هو من وقف مع مراد سيده لا مع مراده . فكل تطلع بعد العلم بهذا فإنما هو دليل الجهل ودليل الحظ النفسانى ، لذلك وجب التخلص من هذه الآفة .

أما الآفة الثانية : وهى الوقوف معها فذلك أيضاً قادح فى كمال العبودية. لوجوه — الوجه الأول : هو أن الوقوف مع المنح حجاب عن المانح

ومن شغل بالعطاء عن المعطى فقيمته ما شغل به .

الوجه الثانى — هو أن الانشغال بالمقامات دليل بين على تعدد الغايات لأن كلما ارتقى الإنسان إلى مقام انتهت إليه غايته تجددت له غاية أخرى بالترقى إلى مقام آخر وهكذا فكأنه عبد للمقامات ولم يكن عبدالله كامل العبودية له إذ لو كان كذلك لما شغل بغيره عنه .

الوجه الثالث — هو أن الوقوف مع المقامات دليل على حصر الهمة ومن حصرت همته تحت شىء كان مقهورا له ولو تم فناؤها فى الله لما حكم عليه غيره .

أما الآفة الثالثة وهى شهود المرء فى نفسه أنه من أهلها ، فهذه المشاهدة تسترق العبد وتخرجه من كمال العبودية وقد تنبه لذلك الكمل من أهل الله تعالى فرأوا أن جميع المقامات فى طور التحقيق ساقطه حتى رأوا أن المشاهدة لها تحجب من كمال التحقق بها حالا وذوقا وبيان ذلك — إذا شهد الإنسان فى نفسه بأنه تائب إلى الله تعالى من رؤية السوى . فلا يخلو من أمرين . اما أنه غائب بربه حتى عن مشاهدته وحينئذ لا يستطيع القول بأنه تائب إلى الله من رؤية السوى . لأن التوبة صفة تقوم بموجود وهو فان عن نفسه فبطلت دعوته وأما أن يكون شاعراً بوجوده مثبتا لنفسه المشاهدة ولاشك أن المشاهدة من السوى فهو خاطىء فى فرض ولم يتحقق بالمقام على وجه صحيح فخير للعبد أن يتحقق بالذل والانكسار حيث أنهما الوصف الذاتى له وفى ذلك عبوديته .

أو كإذا شهد الإنسان فى نفسه أنه من الزاهدين فهذه الرؤية أيضاً دليل على جهد لأنه لا يخلوا من أمرين أما أنه زهد فى أمر قسم له فهو واصل اليه لا محالة فيستحيل عليه الزهد فيه . وإما أنه يزهد فى أمر ليس له فيه قسمة باطل لأن الزهد لا يكون إلا فى شىء يملكه وكيف يملك المرء مالا قسمة له فيه فالعبد الكامل غائب عن هذه المشاهدة بتصرف سيده فى العطاء والمنع فلا يرى أنه أخذ شيئاً ولا ترك شيئاً وفى ذلك نهاية الزهد وأن لم يره .

أو كإذا شهد الإنسان فى نفسه أنه من أهل المراقبة وصاحب هذا لا يخلو من أمرين أما أن يشهد أفعاله صادرة

منه خلقا وايجادا وأما أن يشهدها إضافة إليه واسنادا فان كان الأول فهو واقف مع نفسه ومحجوب بحسه منازع للحق فى خلقه وفى ذلك من النقص مالا يخفى وان كان الثانى فكيف يراقب العبد أفعال سيده والله على كل شىء رقيب فالكمال أن يغيب بالرقيب عن المراقب وهو الأولى.

أو كإذا شهد المرء فى نفسه أنه من أهل الاستقامة وأنى له ذلك وسيد المرسلين يقول (شيبتنى هود) وتقول الصحابة رضوان الله عليهم لا نرى ذلك إلا فى قول الله تعالى (فاستقم كما أمرت) ثم فى الاستقامة ترك الدعوى سواء ان كان المرء محقا أو مبطلا ولو فهم صاحب هذا المقام معنى قول الله تعالى (فلولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكى من يشاء) لغاب بشهود المنة من ربه عن رؤية مقامه.

أو كإذا شهد الانسان فى نفسه أنه من أهل التوكل على الله تعالى. والمدعى لهذا لايخلو كذلك من أمرين أما أنه وكل ربه فى أمر له أى لربه وهذا باطل إذ لله الأمر من قبل توكيله ومن بعد. وأما أنه وكل فى أمر يملكه هو وليس له فى الأمر شىء فتوكل الكمل من العباد شهود إن الأمر لم يزل موكولا إلى الله من قبل ومن بعد. وان قالوا (ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا) قالوا ذلك اقراراً منهم للواقع وامتثالا لأمر التشريع ولو شئنا أن نوضح سقوط كل مقام لضاق بنا الأمر. فالخلاصة أن الوقوف مع المقامات أو القطع إليها أو رؤية المرء فى نفسه إنه فى أعلها نقص بين عند الكمل فى العارفين وأعلى الخلق حالا وحقا ما من ستر الحق مقامه وحاله فى نفسه حتى يكون عبدا لله لا حكم لمقام عليه. ولذا كان القطب المحمدى لا يتميز فى الحقيقة عن غيره إلا بأنه لا مقام له بل نسبة جميع المقامات إليه كنسبة الأسماء إلى الله وما ذلك إلا لفنائه فى ربه ولله سبحانه وتعالى كل حكم وما خرج شىء عن حكمه فمن فنى فى الله استحال وقوع الحكم عليه ومن بقى مع نفسه وقع الحكم عليه وأهل الحق فى ذلك متفاوتون وكل عبد بحسب ما فنى منه وما بقى فيه. ألهمنا الله الرشد وخلصنا من كل ما سواه حتى لا نكون لشىء دونه.

أما الأمر الثالث ! فهو تخليص القلب كل ماسوى الله تعالى والمراد به غض الطرف عن الأكوان بمشاهدة الكون على أن يكون الشهود بالحق فإنه لا يشهده فى طور التحقيق إلا هو إذ لا يرى الله إلا الله . ولا يكون ذلك إلا لعبد غلب عليه شهود الاحاطة الذاتية لكل شيء فغاب بها عنه فأخذه الحق سبحانه وتعالى منه وأفناه عن نفسه وأبقاه به فقام بربه لربه يسمع به ويبصر فان نطق نطق بالله وإن فعل فعل بالله وهكذا . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وأهل هذه الدائرة فى الأمة هم حجة الله فى أرضه . الذين أشار إليهم أمير وسيد العارفين على كرم الله وجهه إذ قال لكحيل : لاتخلوا الأرض من قائم لله بحجة أما ظاهراً مشهورا واما خائفا مغمورا لئلا تبطل حجج الله وبيناته وكم ذا واين أولئك والله أنهم الاقلون عددا ولا أعظمون قدراً يحفظ الله بهم حججه وبيناته حتى يدعوها فى نظرائهم ويزرعوها فى قلوب أشباههم . هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة فباشروا روح اليقين واستلانوا ماستوعره المترفون وأنسوا بما استوحش منه الغافلون عاشوا فى الدنيا بابدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى أولئك خلفاء الله فى أرضه والدعاة لدينه آه آه شوقا لرؤيتهم .

فهؤلاء حقيقة هم المخلصون الذين استخلصهم الحق لنفسه فلم يشغلوا بشيء سواه شاهد الحال فيهم ينادى بقول الحق جل وعلا (قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك) والله يقول الحق ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم والله أعلم .

صوفيات عبر الحياة

بقلم: الدكتور
مصطفى كمال وصفى

— ٢ —

نوع من التظاهر :

إنا لله وإنا إليه راجعون . . .

ما حيلة الصوفى هؤلاء الناس الذين يحسنون الظن به ويظنون على شىء . يرونه من ذوى البركات والنفحات .

قال العونى : ياناس لست صاحب بركة ولا نفحة .

أنا أعلم الناس بعيوبى الكثيرة . . . الكثيره جداً . ولكنها خافية عنكم .

تقولون لماذا أخفيها ! وإن الأعداء يقولون أن هذا نفاق ورياء ! ؟

هل تريدون إنسانا على أن يفضح معايبه للناس .

ثم لماذا أجعكم فى حسن ظنكم بى .

ألا تعلمون أن ذلك يدحر . فعنيه الله ويخزى حزبه .

إن الناس يجتمعون على طريق الله ويتابعون آثاره ، إذ يرون بينهم رجاله الداعون إليه وقد حسنت سيرتهم وكمل سمتهم وازدانوا بحسن الآداب وجميل المعاملة والمعروف .

وما داموا قد اجتمعوا على رجل وأحسنوا الظن فيه ، فقد واجب عليه أن يخضع نفسه لما يقوى روحهم ويشحذ هممهم ، وأن يقاوم فى نفسه كل نزعة تفسد الصورة التى يجب أن يكون عليها فى أذهانهم :

ليس هذا رياء . لأنه لم يتخذ إرضاء للناس وإجتلابا لشكرهم ، ولكنه أداء للوظيفة وزينة لله وعن إيمان به . كالتشريفاتى الذى يتزين فى خدمة سيده .

وليس هذا تمتعا وامتيازا ، بل تكليفا وتضييقا ، لأنه يمنع النفس من الانطلاق وراء نزواتها ، ويحرم عليها ما يمارسه سائر الناس .

إن الصوفى خادم عام لكل من يطلب خدمته . لا يجوز له أن يعبس أو يتولى

أو يضيق أو يتبرم .لا يصد طارقا بالليل ولا بالنهار . ولاينفر من ملاحقة . ولا يتأفف من إلحاح . ويجب أن يكلف نفسه أقصى وسعها وأن يتجمل دائما . دائما بلا انقطاع ولا توانى ولو كان مريضا أو معذورا وعليه أن يبذل . . ويحرم عليه أن يطلب .

إذا وضع الشرف الأخضر أو الأحمر أو الاسود أو الأبيض مع رأسه ، وجب عليه ألا يرتاد ما يرتاده الناس من الملاهى البريئة . . سيقولون رأينا الشيخ فى سينما ريفولى أو فى الفونتانا . . مصيبة والعياذ بالله .

ثم عليه بعد ذلك أن يعرف سلفا آراء الساخرين فيه . . فهو فى نظرهم إن لمسوا فيه ذكاء وتفتحا ، كان فى نظرهم بهلوانا دجالا ، وإن لم يلمسوا فيه ذلك كان عندهم جامداً متنطعاً . . لا وسط بين النعتين .

وعليه بعد ذلك أن يتحمل كل ذلك . وأن يمضى فى طريقه قدما . لأنه علامة على طريق الله ؛ إشارة على الإتجاه إليه .

هذه هى الخدمة العامة وهذه هى تكاليفها .

الفقيد الكريم

المرحوم عباس زكى

استأثرت رحمة الله برجل الانسانية والتقوى الاستاذ عباس زكى والد الاستاذ الكبير حسن عباس زكى وزير الاقتصاد .

وعزيز على قلبى هذا المصاب الالم وعزيز على قلمى أن يكتب معزيا ومواسيا للصديق الكبير الاستاذ الجليل حسن عباس زكى .

ولكن قضاء الله لا يرد والوزير العالم الصوفى صاحب القلب الكبير والروح المطمئن المؤمن والقلم العبقرى المشرق هو خير من يتقبل قضاء الله ويصبر له بل خير من يلهم غيره الصبر ويعلم غيره الرضا .

اسبغ الله على فقيدنا الكريم شآبيب رحمته . وحف نجله الكبير بلطفه وعونه والهمنا جميعا الصبر على قضائه وقدره .

محمد محمود علواه

الحقيقة المحمدية والعلم الحديث

بقلم الاستاذ: حسنى طه شكبان

هجرة فى سبيل المعرفة والحقيقة...

بين يدى ذكرى الهجرة العاطرة نقدم بحث المعرفة فى رسالة المصطفى هدية وتحية . .

أما بعد . فلن تجد — فى إخلاص ويقين — رساله كالإسلام قدست المعرفة وفتحت آفاقها صفحات رائعة فى كل الوجود . . . من الذرة التى لا ترى إلى المجرة الكبرى . . من المادة الدوارة فى ذراتها . . إلى الحياة المتسامية فى مجالاتها ، ومن الخلائق وهى تملأ الوجود فى أرض وسموات إلى الخلاق والأعظم المهيمن من فوق السموات . .

ولن تجد كمحمد — العليم — داعية إلى الخير والحق ، وخبيراً بأسرار الوجود ، وفاتحاً للكمال الإنسانى أبوابا ، وللمعرفة العليا آفاقا ، فلم يسبقه فى كماله معلم ، ولن يلحقه فى آفاقه خبير . . وهو هو النبى الأمى الذى لم يقرأ كتابا ولم يخطه بيمينه . . .

لقد فتح الوجود كله كتابا للمعرفة . وفتح للبصيرة عيونا نفاذة ، وللعقل منطقاً لا يزيغ فما كانت رسالته غير معرفة ويقين ، وما كانت حياته سوى رحلة ويقين علوية من مجال الأرض إلى رحاب الحق الأعظم « فى مقعد صدق عند مليك مقتدر . . . »

فهل تجد بيانا كروعة حديثه وقد سأله الإمام على — كرم الله وجهه — عن سنته فقال : المعرفة رأس مالى . والعمل أصل دينى ، والحب أساسى ، والشوق مركبى ، وذكر الله أنيسى والثقة كنزى والحزن رفيقى ، والعلم سلاحى ، والصبر ردائى ، والرضا غنيمتى ، والفقر فخرى ، والزهد حرفتى ، واليقين قوتى ، والصدق شفيعى ، والطاعة حسبى ، والجهاد خلقى وقرة عينى فى الصلاة . . .

بيان جامع من الحكمة لا نظير له . . رسالة من المعرفه ، وسلاح فى الحياة

من العلم ، دعوة قامت على ميزان العقل وخلق من الجهاد الحق فى سبيل هذه المعرفة . . ثم صلة عليا برب الوجود الأعظم، معلم الإنسان الحكمة والبيان ، وبالقلم علم ما لم يعلم . . .

أما ثبت الصفات المتخللة لهذا القانون ، فهو عدة أهل المعرفة واليقين فى هذا الوجود بيان غنى عن التوضيح وإن حمل من الفقه فى الحياة كل تجربة ، ومعرفة . . .

وإنا لمع سنتنا فى بحث علم النفس فى تطلعنا إلى نبضات قلب الرسول الكريم يخفق خفقات الإشفاق والحنو على الجاهلين وإلى نبرات صوته الكريم يفيض الحكمه واليقين . وإلى لمسات يده الصناع تفتح للعقول والقلوب أعينا ، وإلى إشراق روحه يبدد من الأرض جحافل الظلام والخرافات التى رانت على الناس قرونا متطاولة ، وإيذانا بخلود النور مع الحياة فى كلماته ورسالتـــه وقرآنه : قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين .

ولنتطلع إلى العالم قبيل رسالته . . ثم لنترسم خطاه مع النور فى الحياة....

عالم يموج بالضلال والبغى . . ينقسم إلى أقسام ثلاثة .

١ ــ امبراطورية فارس ومستعمراتها فيما يقرب من ثلث العالم شرقاً ، قامت على حضارة من بعض المعارف المادية فشيدت القصور وعمرتها بالأثاث ، وأقامت فلسفتها فى الحياة على أثارة من معرفة ورصيد من دعوات الحكماء ، وخلطت ذلك بسخافات من الجهالة فوجهت قلوبها ويقينها إلى النار تعبدها من دون الله كفاعل قوى جبار يستحق العبادة والإخبات . ثم اتخذت لها سنة من البغى والسيطرة تستعلى به على شعوب العالم الضعيفة، ووجهت القطيع البشرى فى موكب من البغضاء والحقد ضد الإنسان الآخر فى امبراطورية الروم ... فهى معها فى حرب سجال . .

٢ ــ وهناك غربا قامت دولة الروم تحتل منطقة فى شرق وغرب تقارب ثلث العالم وشيدت لها حضارة من فقهها فى الحياة والمادة ، ومن ميراثها الفكرى من إخوانهم الإغريق ، وتلقت المسيحية السمحة من حوارى السيد المسيح فانقلبت فى مجتمعاتها إلى عشرات من المذاهب المتنافرة ، وقام قيصرها يجمع الكلمة فأضاف مذهبا جديداً سماه المذهب الملكانى الذى رفضه فقهاء المسيحية فى مصر وغيرها ، فكان

من جراء ذلك عدوان وبغى آثم من أجناد الروم ضد حرية التعبد والفقه فى الدين . . .

فلا نعجب إذا حدثنا التاريخ فى مرحلة تالية كيف جاء الغرب إلى الشرق فى موكب من البغى والعدوان الفاجر : يدمر ويسفك الدماء ويستحل الحرمات ، ويستعبد الناس بصورة ترفضها كل الأديان ، وتأباها كل ألوان المعرفة الإنسانية فضلا عن المسيحية السمحة الداعية إلى السلام حيث تقول : من لطمك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر أيضا ، ومن سيرك ميلا فسر معه ميلين ، ومن نازعك ثوبك فاخلع له الرداء أيضاً « باركوا لاعنيكم ، و أحسنوا إلى مبغضيكم ، وصلو من أجل الذين يسيئون إليكم . . . »

لا نعجب من ذلك فقد قرر حكماء التاريخ أن الغرب فهم المسيحية فهما خاطئاً على غير ما فهمها الشرق . . فهمها للآخرة فى صلوات تقام فى الكنيسة منبتة الصلة عن فقه الحياة والمعاملة ، ومن ثم جاء وا إلى الشرق بروح من البغضاء والكراهية ، كبراً فى الأرض وعلوا ، يأباه السيد المسيح ويلعنه .

كما لا نعجب حين قامت الثورة الكبرى على الكنيسة فى الغرب لأن فقهاءها هم الآخرين فسروا المسيحية تفسيراً خاطئاً يعارض العلم والمعرفة . . وهما يستمدان كيانها من الواقع الذى لا ينكر . . .

ذلك أن ألواناً شتى من هشيم الخرافات والأباطيل ، وضلال الفهم والتدبر قد أحاط بالفكر الرومانى ، فلم يكونوا بأحسن حالا من إخوانهم فى فارس ، وظل منسحبا معهم فى أوربا إلى عهد قريب حتى حاولوا التوفيق نين العلم والدين الحق فى مرحلة متأخرة . . .

ثم نشهد حشداً من البغضاء يسوقهم هم الآخرين ليبيدوا إخوانهم فى فارس . . .

وهنا وهناك فى الجزيرة العربية والهند والصين واليابان وغيرها دول ودويلات أظلها الجهل والفوضى ، وغمرتها البغضاء والحماقة ، ورتعت فيها الخرافة والضلال . . فعبدت الأصنام ، واتجهت إلى الكواكب ، وقدست الحيوان ، والتجأت إلى السحر والعرافة وعاشت مع الشقاء والدماء ، وأحاطتها شريعة الغاب ، وظلمات الجهالة .

تلك صورة سريعة لحالة العالم . . قبيل إشراق المعرفة المحمدية على الأرض . . فكيف انتشر النور المحمدى فى كل الآفاق !! .

لكم شوهد منذ شبابه مطرقاً يفكر أو منطلقاً فى شعاب الجبال يستقرئها الأسرار ، أو مقلباً وجهه فى صفحة السماء يستنبئها الغيب المحجب . . حتى قالوا : إن محمداً عشق ربه .

لكم تألم لهذا القطيع البشرى السادر فى ضلالات وحماقات من الفهم أو التقاليد فاعتزله ورفض أن يشترك فى سخافاته ، وهو بعد شاب ورجل حتى سموه بالمتحنف على دين ابراهيم ، وعرفوه بينهم بالصادق الأمين .

وجاء برسالة الحكمة والمعرفة . . أولها وآخرها . . قراءة وفقه وارتقاء « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم » .

إن الحضارة والتطور والسعادة فى أصول ثلاثة : القراءة والكتابة وتعلم الجديد كشفاً عن المجهول . . . وذلك فى آيات ثلاثة : اقرأ باسم ربك الذى خلق . . الذى علم بالقلم . . علم الإنسان مالم يعلم .

وصدع محمد بالأمر ، فقرأ صفحة الوجود ، وتعلم أسرار الوجود ، ومنح الإنسانية من المعرفة ما لا حد له ولا نهاية . . مضى ينتشل العقول من وهدتها وضلالاتها فى العقيدة والفهم ويرقى بالطبيعة البشرية من البغضاء والحروب ، ويبنى للإنسانية حضارة الأرض وجنة السماء فى الخلود . ولقد ضاقت بمعارفه مكة فكانت هجرته حفظا للعلم ونشراً للحكمة .

« أيها الناس . . اعبدوا الله وحده لا شريك له واعملوا صالحاً . وتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، وإنها لجنة أبداً أو لنار أبداً . فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره . . ولن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولن تؤمنوا حتى تحابوا . . أفشوا السلام بينكم . . العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » .

وسبيل وسبيلكم فى الحياة معرفة متواصلة وبحث مقيم فى كل شىء .

قل أنظروا ما فى السموات والأرض . . أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء . . إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . إن فى ذلك لآيات لقوم

يعقلون . ، لقوم يتفكرون . . لقوم يسمعون . . . لقوم يتذكرون . . . لكل صبار شكور . . . وتلك لمحات من دعوته وشعاره فيها « قل هذه سبيلي ادعو إلى الله على بصيرة أنا ومن أتبعني وسبحان الله . . . » وعليك أن تتصفح رسالته الكريمة فى كتاب : هو دستور الحياة ، أو فى سنة هى سمو الحياة أو فى فهم هو سر الحياة . . أو فى علوم ومعارف هى حكمة الحياة . . .

ثم أقرأ آثاره فى التاريخ فهى ملء الحياة ، وتطور الحياة . . .

لقد تجمع العرب من حوله فإذا هم حكماء الأرض وقادتها إلى السعادة والسلام : خلصوا الفرس من سخافات العقيدة ، وأنقذوا الشرق من إذلال الروم وقدموا للغرب فقه الوجود ، ونور الوجود ، وأسهموا فى الحضارة بأوفى نصيب . وفى جامعات القاهرة ودمشق وبغداد وقرطبة وطليطله والرباط ، ومكتباتها ودور العلم فيها ، ومساجدها ومعاملها قام أتباع محمد يدرسون ومازالوا يدرسون لأنفسهم وللناس رسالة محمد وحكمة محمد وهدى محمد .

وكما وفد الغرب على جامعات عين شمس ومنفيس وطيبة والإسكندرية منذ عهد الفراعنة . . . وفد الغرب على معاهد الحكمة العربية فى ديار العروبة يبحث فى كل فن فى الحياة فى نطاق حكمة محمد : « تعلموا العلم ، فيه يعرف الحلال من الحرام ، وهو منار الجنة ، وهو الأنيس فى الوحدة والصاحب فى الخلوة ، والدليل على الدين ، والمصبر على البلاء ، والوزير عند الأخلاء ، والقريب عند الغرباء . . . » « كلمة من الحكمة يسمعها المؤمن فيعمل بها ويعلمها ، خير له من عبادة سنة . » « تفكروا فى آلاء الله . »

« نضر الله وجه امرئ سمع مقالتى فوعاها ، وبلغها كما سمعها ، فرب مبلغ أوعى من سامع . . . ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه . . ليبلغ الشاهد الغائب . فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه . . العلماء ورثة الأنبياء . . ورثو العلم . . من أخذه أخذ بحظ وافر ، ومن سلك طريقا يطلب به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة . . وإنما العلم بالتعلم » .

واليوم يقف العالم فى مثل موقفه بالأمس قبيل إشراق النور المحمدى . . معسكر فى الشرق وآخر فى الغرب . . كفروا بحكمة السماء ، ورسالات الأنبياء ، وظنوا الحياة ظلماً وتعسفا وعلوا فى الأرض واستكباراً ، أو مغامرة وقتالا ، وتدميراً وشقاء . . .

ويقف الشرق ممسكا فى يمينه جماع حكمة الأنبياء فى قرآن محمد المنزل عليه من ربه نوراً ، وفى حكمة محمد الجامعة ليقدم الشرق من جديد لأخيه الغرب رسالة الحضارة والتطور والكمال . . رسالة المحبة والرحمة والسلام .

تعليق على مقال :

الحقيقة المحمدية والعلم الحديث

الاسراء والمعراج والفقه الجديد

للكاتب العراقى الأستاذ ابراهيم الكواز

قرأت فى مجلة الإسلام والتصوف كلمة بالعنوان المتقدم فى العددين التاليين وددت أن أبعث بما عن ويعن لى عن تلك الحقيقة تقريباً للآراء وتوحيدا للافهام. وأرجوا تقبل ذلك برحابة صدر العالم المحقق التواق إلى معرفة الحقيقة من أى مصدر جاءت. وافساح صدر مجلتنا لذلك تعميما للفائدة.

ص ٥١ من العدد التاسع عرف الكاتب الفاضل الإسراء بأنه (الانطلاق برسول الله (ص) . . . حيث التقى بالأنبياء الكرام) وأرى لو استثنى منهم الرسولين الكريمين ادريس (السماء الرابعة) والسيد المسيح (ع) (لثبوت رفعهما بنص القرآن والتوراة بما يخص الأول والإنجيل بما يخص الثانى وأن كان قد حرف) فيتعذر نزولهما وقت الإسراء . . وياحبذا لو ناقش الكاتب الفاضل المنقول بدلا من احالة — كل العقول — إلى كتب التفسير المتضاربة.

نحن من رواد العلم الروحى والقائلين بجواز انتقال جسد الرسول الأكرم، وذلك بتحوله إلى طاقة شعاعية تقطع المسافات بمدة وجيزة ، لكن قيام الرسول صلى الله عليه وسلم فى امامة الأنبياء بصلاة ليست مفروضة (لوقوع السرى بعد العشاء الأخير وقبل الفجر) أمر يجعل الإسراء بالروح فقط كما يؤيده أحاديث السيدة عائشة أم المؤمنين ومعاوية . . وهذا لا يمنع تجسد روحه الشريف للعير وشربه من مائهم وادلالهم على الجمل النافر كما حصل تجسيد الملك جبرائيل بحديث عمر أمام جمع من كبار الصحابة وفى وضح النهار رغم أن الضوء يشتت القوى

الروحية والظلام يظهرها . ولحكمه خلق الله الإنسان فى ظلمات ثلاث ؟ ! وحسنا ذكر المؤلف سعة الكون المادى فهو مما يؤيد رأينا فى عروجه عليه السلام بروحه الكريم فقط وأن اتساع الكون المادى يؤيده القرآن الكريم (والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون) أى الفضاء بناها وأشادها بفضل وهى فى توسع سريع فاتساع الكون هذا يحول دون انطلاق أى روح وأن كانت روح نبي أن تصل إلى عشر معشار ماوصلت اليه روح فخر العروبة الأكرم وهذا هو المعجز ناهيك أن الرسول جبريل يستفتح ويستأذن عند كل سماء قبل أن يلجها فيسمح له ولمن معه وهو رسولنا الأكرم .. ورجائى للقارىء أن يمعن النظر ثانية فى فقرة الكون المادى ليرى أى قوة روحية يملكها رسولنا الأكرم وهى تمرق كالضوء المنتشر بسرعة تزيد على (١٨٦) ألف ميل فى الثانية تجوب الآفاق بين النيرات وفى الفضاءات السحيقة فى الارتفاع !! والعلم الروحى لا يرفض تحول الجسد المادى إلى طاقة واحتفاظه بحياته كما للشيخ طنطاوى قد جرى عندما تأخر عن اللحاق — بالقطار فعالجه الروح (عبد اللطيف البغدادى) بتحويل جسده إلى طاقة .. والعلم الحديث يعترف بأن الجسد الشريف من النور ، ولكن الصحيح أيضاً هو أن جسد الرسول الأكرم جسد مادى ككل الأجساد المادية .. أما كون العلم بأنه يعترف بأن كل المجودات سواء (جماداً أو نباتاً أو حيواناً) ماهى إلا طاقة فى وجه من وجوهها المتفاوتة وأن بالإمكان تحويل الطاقة إلى مادة وبالعكس . . ولكن الله سبحانه وتعالى يجرى الأمور فى مجاريها الطبيعية التى قننها هو (وأنها لبسبيل مقيم) .

أما أرضنا مع بقية الكواكب السيارة كانت شمسا تكورت إلى هذه الكريات المعروضة كما أن شمسنا الحالية عرضة للتكور إلى تسع عشرة كوكبا سيارا .

أما عرش بلقيس وطيرانه من اليمن إلى فلسطين فلم يكن بتحويله إلى ذبذبات كهربائية كما صوره حضرة المؤلف فالعلم فى تقدم وليس فى تأخر ولم يعلم ذلك فى عصر النبى سليمان فكيف أن معاصريه يدرون وبينما المسلمون بعدهم وبعد أربعة عشر قرنا حتى عرفوا امكان تحويل المادة إلى طاقة ثم ارجاعها إلى مادة ! ان

التعليل العلمى لنقل عرش بلقيس كما يحكيه القرآن الكريم . . هو أن النبى سليمان كلف الملأ من قومه وكان فيهم الجن والإنس والحيوانات كما هو معلوم فسكت الجميع عدا عفاريت الجن الذين انبرى أحدهم وكان يجهل علوم الكشف (كالزايرجة) فقال أنه يستطيع احضاره قبيل انفضاض مجلس الحكم . وهذا لا يعنى أنه يحوله إلى ذرات أو طاقات .. أما العفريت الذى عنده علم من الكتاب الذى استخاره ليلة تكليف الملأ من قبل الرسول علم أنه سيطلب احضار عرش بلقيس القادمة إلى زيارته بجيشها وأقيالها وذخائرها عدا العرش لعظمته وصعوبة نقله .. للدلالة على علو مرتبة النبوة والقدرة الإلهية على الملكية والقوة البشرية ! طار العفريت العالم ليلا إلى اليمن ورفع العرش وأتى به إلى أوروشليم حيث خبأه فى أحد الكهوف . وهذا يبرره قول العفريت (أنا أتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك)!! وقد فعل ».

أود هنا أن أنفى أقوال البعض من أن المعراج كان لحظة من لحظات الصفاء لسببين أولهما حدوث الإسراء ثم المعراج بعد ذهاب الرسول الأكرم للنوم أى بفعل لا أرادى بالنسبة له فلم يعد لذلك نفسه للحظة الصفاء المزعومة وثانيهما أن الرسول جبريل أعد له البراق ليزداد اطمئنان روحه عليه السلام ويلازمه الهدوء بهذه الوسيلة التى تطوى لها الأرض بلحظات فتتكون فى المسجد الأقصى فلا يرتعب أو يشك أو يتردد فيما سيتعرض له من جولان خاطفى بين النيرات .

ص ٥١ من العدد العاشر (أن روح الإنسان قبس من النور الكلى العظيم — الله نور السموات والأرض) وهذه عقيدة باطلة لأن الله تعالى ازلى والأرواح حديثة ولم تكن موجودة من قبل . وأن الله تعالى خالق والروح مخلوقة وأن الله تعالى منزه عن الظلم والجهل والصفات السيئة وأما الأرواح فتولد جاهلة مجبولة على الطمع والحسد فمنها من يكتسب العلم بالدراسة أو التجارب ومنها من يكتسبه بالهام ربانى فتحسن أخلاقها وتصلح سريرتها وتخلص لربها فتكون مقربة عنده .. أما معنى قوله تعالى (الله نور السموات والأرض) أى الله هادى السموات وأهل الأرض .. فقد ثبت علميا أن الفضاء مظلم بل شديد الظلمة . فكيف نوفق بين ذلك ووجود النور ؟؟ فالنور أراد به الهداية . .

وقول الكاتب الفاضل عن روح الإنسان بأنها (— شعاع من روحه — سبحانه وتعالى — فاذا سويته ونفخت فيه من روحى) وهذا يرده نفس الشرح السابق .. أما المراد (من روحى) أى من جبريلى .. إذ أن كلمة الروح الواردة فى القرآن كلها تعنى جبريلا كما أثبتنا ذلك فى ص ٦٠ من العدد الخامس من السنة الأولى لمجلة الإسلام والتصوف ... أما قوله أن الإنسان خليفة لبشر قد سلفه .. ولعله قصد انشاء الجنس الرابع من الأجناس البشرية الأربع .. وهذا كنت قد تطرقت اليه فى نفس المجلة ص ٥٥ العـــدد العاشر السنة الأولى بعنوان — بدء الخليقة الروحية — وان كانت المجلة قد علقت فى آخره أن نشره كان على مسؤلية الكاتب فجزاها الله خير ان سمحت لذلك . والمجلة إذ تورد قوله تعالى (ماأشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم) فهو صحيح أذان خلق الكواكب السيارة سبق خلق النبات والحيوان وعلى رأسه أخيراً الانسان ، أما قوله تعالى (ولا خلق أنفسهم) فواضح أيضاً ويريد كذلك ما ذهبت اليه فى عدم وجود أرواحنا قبل خلق أجسامنا فى الأرحام فلم نكن حاضرين عند خلق الروح ... لكن ذلك لا يمنع قلوبنا أن تتفرغ لتدرك خلق العالم بعد أن أبصرها الخالق تعالى وهو ماذهب اليه حجة الإسلام الإمام الغزالى ونشرته نفس المجلة ص ٤١ من العدد الحادى عشر من السنة الثانية فهل تحاول المجلة أن تهدم ما تبنيه هى ؟ ! كلا فهى قد جاءت للبناء وعليها رسالة أوجبت هى على نفسها حق أدائها فلذلك لا عليها ان كتب الكاتبون وتجادل المتجادلون بالتى هى أحسن وشريطة ألا تتفرق بهم السبل عن السبيل التى استنها شيخ المشايخ السيد محمد محمود علوان أيده الله تعالى .

من كل ذلك يستبان أن روح الإنسان (لم تحط بكل شىء) فلو صح ذلك لما عصى آدم ربه ؟ قل لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ..

أما قوله تعالى (وعلم آدم الأسماء كلها) فهذا ما أرجئه الآن إلى فرصة مواتية انشاء الله .. وودت أن أوضح أن المقصود بالحديث (خلق الله آدم على صورته) أى على الصورة الكاملة الآدمية الكاملة فلم يطوره عن قرد .. ! أو حشرة ... بل آدم كامل الخلقة كامل الجسد . وهذا الحديث ينفى ماقرره الأستاذ حامد

محمود الزمزى ص ٤٥ من نفس العدد من أن الإنسان (نشأ مخرجا ناقصا كحيوان قمىء) .

٥٢ أما قضية البدلاء وان لبعضهم أربعين بديلا غير صحيح . وان كان قد تعجلت فى الحكم فيها فان الصراحة فى القول والصدق فى النية ديدنى ... وهذا ينفيه الواقع والعقل والنقل ... لم لا يكن للرسول أربع بدلاء (بدلا من أربعين) يدعون الناس بوقت واحد وبشرع واحد فى أنحاء أربعة من المعمورة وفى ذلك صدق على الرسالة ودحض للمفترين والمكذبين ؟ . خاصة وأن الرسول الأكرم بعث لجميع سكان هذه الأرض !! ثم ماذا يفعل ذلك البعض من الكرام حتى يتطلب الأمر إلى خرق القوانين الطبيعية وتهيأت أربعين من أمثاله ؟ لوضح هذا وتعددت شخصيات البدلاء لما الشك صدور ذويهم قبل معارفهم ؟ ثم أى من الأربعين هو الصحيح ؟ كل هذه الأسئلة تباعد الناس لا عن التصوف فحسب بل عن الدين أيضاً . إذ يخالون أن ذلك من الدين وليس هو من الدين يا أخى ..

أنا لا أنكر وجود بديل للشخص بل انى أقول وأدعو أن لكل شخص بديلا أو مثيلا وهى ما أسماه العلم الروحى (الروح) فما مكان الشخص أن يطرح روحه إذا كان له مثل هذه الكرامة أو الموهبة ! ؟ ولكن لا يستطيع أربعين مثيلا فى أربعين مكانا وربما يتكلم كل منهم لغة ؟ .. أنى لم أرد أن استهجن ذلك ولا أورد هذه الأسئلة بتهكم بل رغبتى الوحيدة تمحيص الحق وإعلان شأنه وكذلك نفس الكاتب الذى أكن له فى نفسى كل احترام ، لكن هذا التهكم أصبه على كثير من الكتب الموضوعة التى اعتبرها تحط من شأن التصوف والمتصوفين بمثل هذا الدرس الرخيص والمجلة نفسها من خطتها تجريد الدين الحنيف من الخدع والأباطيل والضلالات ص ٥٥ « أن الخضر مازال حيا بجسده » يقول الكاتب أن معظم الصوفية تعتقد هذا .. والكاتب شيخ متصوف ملهم قد اتصل بنور الله تعالى أنما كان الأجدر ان يتحقق ذلك مسترشدا بآى الذكر الحكيم وبطريقة الكشف أو على أقل تقدير بحضور إحدى الجلسات الروحية واستطلاع بعض الأرواح المؤمنة عله يرشدنا ! نعم الخضر حى بجسده ... ما فى ذلك شك فكل من يتقل من هذه هو حى بجسده ... ولكن أى جسد ؟ ! إنه الجسد الأثيرى لا الجسد

المادى الذى يتطلب لحياته أو لادامته الطعام والشراب وطرح البراز . . . !الخضر عليه السلام على ما افهمتنا إحدى الجلسات الروحية (أنه من أتباع النبى موسى عليه السلام توفاه الله تعالى ثم أسبغ عليه علما وجسد روحه حيث التقى بالرسول موسى (ع) وجرى ما جرى له لحكمة عظيمة دقيقة هى ألا تصيب الكبرياء الرسول موسى أو يلحقه الشيطان بوسوسة المعرفة والعرفان فتطغى نفسه ويلحقها الخيلاء والكبرياء التى هى لله تعالى فحسب . فامتحنه ببعض عباده فتصاغرت نفس موسى عندئذ وخضع خضوعا كبيرا للخالق العظيم . : يتيم . راع . ربيب . . . يتطاول على مدع الربوبية عظيم تخضع له رؤساء آل داود واللايون والأحبار وكل اليهود يسومهم سوء العذاب ويجلد رجالهم بالسوط ويشغلهم بأعمال السخرة ويستحى نساءهم ، ويستند لها هو وقومه فيتقدم هذا الربيب الراعى اليتيم فيجادل فرعون مصر وهو بين أقياله وجيوشه والرسول لم يكن معه غير عصاه !! هذا الرسول العظيم الذى حطم الفراعنة وأنقذ اليهود وقادهم إلى أرض المعاد قد تسول له نفسه أن يكون جباراً فى الأرض فامتحنه الخالق العظيم والبر الرحيم بذلك العبد . . . وكانت الغلبة لموسى ولكن على نفسه ! فتصاغرت أمام الله فرفعها كما قال السيد المسيح (من تواضع لله رفعه) . .

لقد ورد فى مقال الأستاذ حسنى شكيبان ذكر السموات وتضارب هو الآخر فى معناها ولذلك وددت أن أورد تعريف السموات الأستاذ الأكبر السيد محمد على حسن فى كتابه الكون والقرآن المطبوع فى مطبعة النجاح ببغداد سنة ١٩٤٧ قال حفظه الله وايده .

كل لفظة تأتى فى القرآن على الافراد يريد بها الفضاء سواء اقترنت بالأرض أم لم تقترن وكل لفظة سموات تأتى فى القرآن على الجمع يريد بها طبقات الفضاء الغازية او الطبقات الأثيرية او الاجرام المادية (الكواكب السيارة) :

فالسموات الغازية منشؤها من الأرض خرجت على شكل دخان خليط من سبع غازات ثم صارت سبع طبقات هى النتروجين ، ثانى اكسيد الكاربون ، الكلور ، . . الهيدروجين وهذه يأتى ذكرها فى القرآن الكريم على ثلاثة أنواع

« يتبع »

الشخصية المتوازنة

للأستاذ محمود شلبي

من أعجب ما في هذا الإسلام ، أنه يزن الأمور بالقسطاس المستقيم ، فلا انحراف إلى يمين ، ولا انحراف إلى شمال ، ولكن خطا مستقيما ، لا ترى فيه عوجا ولا امتا .

فهو بحق دين أنزله الحكيم الخبير ، ليبين للناس الطريق السوى فى كل شيء من أمر الدنيا والآخرة .

ينظر الإسلام إلى الإنسان نظرة الحق والواقع ، لا نظرة الخيال والأساطير .

فالإنسان فى نظر الإسلام مخلوق من روح وجسم ، فعلى هذا ينبغى اعطاء كل منهما حقه فى الحياة .

ويرى الإسلام على هذه القاعدة أن للروح غذاءها وللجسم غذاءه .

ثم يأتى فى ذلك بالعجب العجاب ، الذى لن تجد مثله فى دين سواه ، أو نظام غيره والإسلام بهذا يتميز على جميع الأديان ، ويرتفع فوق مستوى كافة نظم الإنسان وليس من الحق الزعم بأن الإسلام لخص أخلاق البشرية المتوارثة وكون منها نظامه الذى يدعو إليه .

ليس هذا الزعم من الحق ... لأن الإسلام نزل من السماء ولم يأت من الأرض نزل من عند الله ولم يأت من عند البشر .

والله سبحانه ليس فى حاجة إلى سخافات البشر وأوهام الخلائق ليبتدع منها نظاما ينزله إلى الناس .

وإنما هو سبحانه يعلم العلم كله ، ويعلم مالا سبيل للخلائق إلى علمه ، فهو سبحانه عندما ينزل إلى الناس نظاما ، أنما ينزل من عنده علما لم يسبق للخلائق علمه

فالإسلام شيء من علم الله ، أذن الله أن ينزل إلى الناس، ليكون نورا يهديهم في ظلماتهم التي بعضها فوق بعض ، يحتكمون إليه إذا اختلفوا ، ويهتدون به إذا ضلوا

وكما أن علم الله كامل لا سبيل إلى النقص فيه ، فكذلك الإسلام نظام كامل لا سبيل إلى النقص فيه .

« اليوم اكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام دينا »

فزعم الزاعمين أن الإسلام أخذ من أخلاق السابقين وكون منها نظاما ألقاه إلى الناس ، زعم باطل وفهم خاطيء لا يصدر إلا عن الذين لا يفهمون من أين نزل الإسلام .

يضع هذا الدين للناس الموازين القسط فيما يأخذون وفيما يدعون .

ويبلغ في ذلك شأوا ليس في استطاعة بشر أن يبلغه ، وإليك دلائل ماتقول .

التـــوحيد . . . يبنى الإسلام رأيه على كلمة « لا إله إلا الله » لا معبود بحق سواه . . . فهو يقرر أن هناك آلهة كثيرة تعبد من دون الله ، ولكنها باطلة كلها والمعبود بحق هو الله .

ثم يعلن في قوة وصراحة رأيه في ذات الله وصفاته في كلمات ليس أبلغ منها في الوجود كله حيث يقول « ليس كمثله شيء » .

قضى الأمر ، وفرغ الإسلام بذلك من أخطر وأدق وأعمق وأوسع مشكلة في حياة الإنسان . ألا وهي مشكلة الخالق والمخلوق ، أو نظرة الإنسان إلى الله وما ينبغي أن يعتقده في خالقه .

وهكذا ينزل حكم الله في تلك القضية مشرقا كالشمس واضحا كالنهار .

الصـــلاة . . . خمس صلوات في اليوم والليلة ، محدودة معدودة ، فيها حق للجسم من الحركات والوضوء ، وحق للروح من الالتجاء والدعاء والصفاء .

الصـــوم . . . النهار كله لا طعام ولا شراب ولا نكاح ، والليل كله طعام وشراب ونكاح . وواضح جدا أن الإسلام يضع في اعتباره أن تأخذ الروح حقها، ويأخذ الجسم حقه ، لا هذه تبغي ولا هذا يعتدي .

الزكاة . . . المال كله ملك لصاحبه ، إلا ما ينبغي عليه أن يخرجه للفقراء

والمجتمع . . . وهو بذلك يحفظ على الإنسان غريزة التملك الفطرية ، ويهذب من جشعه باخراج الصدقات

الحج . . . عبادة تجمع بين حق الجسم وحق الروح ، والمال المبذول والسفر والمشقة والجؤار على عرفـــة والطواف بالبيت . . كل اولئك يجمع بين المادية والروحية فى توازن عجيب .

إلا أن الإسلام يبدو أعجب وأعجب فى أخلاقه التى وجه الناس إليها

مشكلة الجنس — تلك المشكلة التى حيرت البشر ، واقترحوا لها حلولا ، فخابوا وخسروا ، وزادوها تعقيدا .

يأتى الإسلام إليها . . فيحلها حلا جميلا . . ولا تقربوا الزنا . . ثم يقول انكحوا ما طاب لكم من النساء . يحرم الاتصال الفوضوى وفى الوقت نفسه يدفع دفعا إلى الاتصال المنظم

يقول للناس إياكم وتناكح البهائم ، كلها حلا الفحل أنثى طرقها ، ولكن اذهبوا فانكحوا ما شئتم من النساء عن طريق الزواج المنظم وهو بذلك لا يشطح شطح الرهبان الذين حرموا زينة الله ، وفصلوا بين الذكر والأنثى فصلا باتا تاما ، ولا ينزلق انزلاق البهيميين الذين يبيحون الاتصال اباحة بهيمية .

أرأيت التوازن فى الحكم ؟

لا رهبانية . . . ولا بهيمية . . . ولكن حنيفية سمحاء .

مشكلة الرزق . . يحرم الإسلام الكسب من حرام فيقول « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » إلا أنه يحث حثا على الكسب الحلال « وكلوا من رزقه » يسد على الإنسان أبواب الرزق الحرام . ويفتح أمامه أبواب الرزق الحلال . فيمنع بذلك الفساد فى الأرض . . ويحفظ على الإنسان حياته التى قوامها الارتزاق

ثم هو يفتح باب الكسب على مصراعيه . . ولا يمنع إنسانا أن يكون غنيا . . ولكنه يزين له أن يعطى الفقراء والمحرومين ، فيحفظ بذلك على الإنسان إنسانيته وعلى الناس مشاعرهم . فلا هو يصادر رؤوس الأموال مصادرة تامة ، ولا يترك أصحاب رؤوس الأموال يعبثون بالناس . ولـــكن « فلكم رؤوس أموالكم لاتظلمون ولاتظلمون » ... لك رأسمالك ولكن عليك أن تؤدى حقه .

وهذا هو أرقى نظام يصلح للإنسان وينمى فيه إنسانيته . أنا أملك ما أشاء وأعمل ما أشاء ، ولكن المجتمع له علىّ حقوق لابد من أدائها ، فإن أبيت فالحاكم يرغمنى على أدائها « لو منعونى عقال بعير ، لقاتلتهم عليه » .

ذلك أن الإنسان لا يكون إنسانا إلا إذا عاش حراً ، فإن هو فقد حريته فقد إنسانيته . . وتلك هى نظرة الإسلام إلى الإنسان .

يحرص كل الحرص أن يحرره من كل شىء ينتقص من حريته . ويأمر بكل الطرق بما ينمى فيه تلك الحرية .

مشكلة العمل . . « اعملوا ما شئتم » .. « فاستبقوا الخيرات » يقرر الإسلام حرية العمل على قاعدة « كل ميسر لما خلق له » .. ويترك لك تمام الحرية فى اختيار العمل الذى يناسبك ، ويأمرك أن تسابق غيرك فيه وتتنافس فيه . وهو بذلك ينمى غريزة التنافس فى الإنسان .. تلك الغريزة التى هى أساس كل تفوق وتقدم فى بنى آدم .

العلم . . يأمر الإسلام بالعلم . . ويحرم الجهل .. ولا يقبل من جاهل عذرا .. فاعلم أنه لا إله إلا الله . . طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، إلا أنه لا يقبل علما يؤدى إلى فساد أو ضلال ، ويعذب عليه أشد العذاب . وهو بذلك يحكم حكم العدل ، يريد الناس أن يكونوا علماء ، لا ليتباهوا ويتماروا به ، ولكن ليرحم بعضهم بعضا ، وينفع بعضهم بعضا . ذلك هو الإسلام . . فصل فى مشكلات الناس فصلا حكيما ، ونزل إليهم صراطا مستقيما .

وأراد من الإنسان أن يكون شخصا متوازنا فى كل شىء ، لا طغيان للروح على الجسد ، ولا طغيان للجسد على الروح ، وانما الإنسان عنده من استقام ، والاستقامة فى مقياسه ، أن تعيش وتستمتع بالحياة ، ولكن فى حدود الدائرة التى رسمها لك الله.

تلك الدائرة التى تسمح لك بالحركة فى حرية من غير أن تعتدى على حرية الآخرين .

فكما يكره الإسلام التعمق فى الدين فهو يكره التهاون فى الدين .

وكما يكره الظلم والاعتداء يكره الاستكانة والانطواء .

وكما يكره أكل الحرام فهو يكره التواكل .

دينا قيما . . وحكما ربانيا .. ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ؟

أخبار صوفية

مولد العارف بالله
أبو علوان الكبير

• احتفل سماحة الأستاذ السيد محمد محمود علوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية، بمولد جده العارف بالله سيدى أبى علوان الكبير ببلبيس.

وقد شهد ليلة الاحتفال ببداية المولد، فى مساء يوم الخميس الماضى، صفوة كبيرة من كرام رجال العروبة والإسلام وأعلام الدين والتصوف وصدور الأسر بالشرقية، وأعيان الأقاليم المجاورة.

وتبارى أهل بلبيس جميعاً فى اظهار ابتهاجهم الكبير، وترحيبهم العظيم، بالمولد وزواره، ورواده وأيامه، فهو عندهم عيد من أعيادهم الدينية والقومية، وهو لديهم من مظاهر الفخر والاعتزاز ببلدتهم ذات التاريخ العريق فى الإسلام والعروبة، وانجاب الرجال الهداة، الدعاة إلى الله.

وقد أقيمت السرادقات فى الساحة الكبرى، لاطعام الطعام، وتوزيع الصدقات، والبر بالفقراء، كما أقيمت حلقات الذكر الشرعى، وندوات الدعوة والإرشاد.

وقد وجه سماحة الأستاذ السيد محمد علوان، بطاقات الدعوة إلى كبار الشخصيات العربية والإسلامية، ورجال العلم والأدب لحضور المهرجان الدينى العلمى الكبير، الذى يقام فى الليلة الختامية للمولد فى مساء يوم الخميس ٤ أغسطس حيث يتبارى الصفوة المختارة من العلماء والأدباء ورجال المعرفة الصوفية فى الحديث عن التصوف ورسالته، وأمجادنا القومية، ونهضتنا العربية المتصرة الموفقة المباركة.

* * *

• أصبح عدد كبير من أبناء الطرق الصوفية أعضاء بمجلس الأمة ، مما يبشر بالخير ، ويدعو إلى الثقة بالنهضة الصوفية النامية المتطورة ، التى تسهم بنشاطها الروحى والتوجيهى فى كل قطاع من قطاعاتنا القومية .

• أصدر الأستاذ أحمد عبد الله طعيمة وزير الأوقاف ، قرارا بتعيين الأمير محمد عبد الكريم الخطابى عضوا بالمجلس الإسلامى الأعلى .

• يقوم الدكتور محمد مصطفى حلمى بدراسة شاملة عن عبد الكريم الجيلى وكتبه وآثاره ، خاصة كتابه « الإنسان الكامل » .

• يشتغل الدكتور عبد الحليم محمود باعداد دراسة علمية عن العارف بالله السيد أحمد البدوى وآثاره وتلاميذه ومدى تأثيره فى الحياة المصرية .

• تقوم جمعية الرعاية الإسلامية برياسة الأستاذ السيد محمد عيد الشافعى باعداد بناء كبير يشتمل على مسجد ومستشفى وقاعة للمحاضرات ومدرسة لتحفيظ القرآن ، لتقديم الخدمات الدينية والتربوية والاجتماعية لأبناء منطقة حدائق الأميرية وما حولها .

• احتفلت الطريقة المسلمية برياسة شيخها السيد الأستاذ محمد حسن المسلمى بمولد العارف بالله مؤسس طريقتهم ، وكانت أيام المولد كعهدها فى كل عام ، سوقا تجارية عامرة ، وبرا بالفقراء ، ودعوة إلى الله ، وحلقات للذكر والمناجاة ، يؤمها أفاضل الناس ، وصفوة المجتمع الإسلامى .

الهيئة الزراعية المصرية

تأسست سنة ١٨٩٨

تقدم ثلاث وسائل مضمونة لمقاومة الآفات

● **هبتاكلور :**

يعتبر أهم الكيماويات الحديثة لمقاومة حشرات التربة . يحمى المحاصيل دون تأثير على الحيوانات ومنتجاتها . يستعمل فى مقاومة ثاقبات الذرة والتربس والمن والحفار والديدان القارضة .

● **كلوردين :**

المبيد الأمريكى الأول لإبادة حشرات الحدائق ، ويستعمل على نطاق واسع لمقاومة النمل الأبيض فى البيوت والأخشاب ، ومفعوله طويل الأمد .

● **الأندرين :**

أحدث سلاح لمحاربة حشرات القطن . الأندرين يقضي بسهولة وتكاليف بسيطة على ديدان ورق القطن وديدان اللوز والقرنفلية والشوكية .

إنتاج شركة فلسيكول الكيمائية بأمريكا

لكافة المعلومات اتصلوا بالوكلاء الوحيدين

الهيئة الزراعية المصرية

إلى محرر الشعوب ومحطم الاستعمار ..

جمال عبد الناصر

بطل الثورة
العربية الكبرى

نجدد الولاء والفداء
والى الشعب العربى
الكريم أسمى آيات
التهانى والتبريك

بعيد الثورة الثامن

الجمعية التعاونية للبترول

اقرأ فى هذا العدد للأساتذة

الدكتور محمد مصطفى حلمى
» عبد الحليم محمود
» جمال الدين الفندى
» أحمد فؤاد الأهوانى
» يحيى الخشاب
» مصطفى كمال وصفى
» محمد عبد الهادى أبو ريده

الدكتور محمد وصفى
الأستاذ حسن كامل الملطاوى
» محمد عيد الشافعى
» حسنى طه شكيبان
» ابراهيم الكواز
» محمود شلبى
» محمد محمود علوان

الأستاذ طه عبد الباقى سرور

مع الأبواب الثابتة : منهج التصوف

القصص الصوفى : أخبار صوفية

الثمن ٥ قروش

مطابع دار القلم بالقاهرة